فن إدارة المشاغبين

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتـــاب: فن إدارة المشاغبين
المـــؤلـــف: د. أحمد بو هزاع ، هويدا طه
موضوع الكتاب: تنمية بشرية
عدد الصفحات: 180 صفحة
عدد المـــلازم: 9.4 ملازم
مقاس الكتـاب: 14*20
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
الترقيم الدولي: 978-9921-815-962

القاهرة - جمهورية مصر العربية
٠١٠١٢٣٥٥٧١٤
٠١١٥٢٨٠٦٥٣٣
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com

دار البشير

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة لدار البشير للثقافة والعلوم. حسب قوانين الملكية الفكرية. ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر

محفوظة جميع الحقوق

فن إدارة المشاغبين

تأليف

د. أحمد بو هزاع الكاتبة هويدا طه

دار البشير

المقدمة

هـل تأملـت يومًا كيـف تأسرنـا الحيـاة بأحداثها؟ كيـف تدفعنا لنركـض وراء أحـلام وأوهـام، فننسـى أن خلـف كل فرحٍ درسًـا، وخلـف كل ألمٍ حكمة؟ نحن لا نعيش لنمضي عابرين فحسـب، بل لنكتشـف أسرار الرحلة، تلك التـي تحمل في طياتها معاني عميقة قد تحدد مصير أرواحنا في أبدية تنتظرنا، فالحياة ليسـت سـوى مدرسـة عظيمة، تفاجئنا باختباراتها، وتنتظر منا أن نفهم رسائلها، فمن صبر أمـام الابتلاءات وواجه الصعاب؛ حصَد من الألم قوة ومن الفشـل بداية جديدة، فليسـت كلُّ فرحةٍ عابرةٍ نعمةً، ولا كلُّ ألمٍ دائمٍ نقمةً، بل كل تجربة هي مفتاحٌ لفهم أعمق لوجودنا.

في هذا الممر العابر بين البداية والنهاية، نكتشف أن رحلتنا ليست مجـرد أفعال عابرة، بل هي بناءٌ مسـتمر لشـخصياتنا، فما نزرعه هنا، نحصد ثماره في الحياة الأبدية، فالاختيارات التي نتخذها، والدروس التي نستوعبها، هي التي تحدد مصيرنا، والسعادة الحقيقية لا تُستمد من الخارج، بل هي فنٌ نتعلمه من أعماق أرواحنا.

«**فـن إدارة المشـاغبين**».. روايـة تحملـك إلى عـالم مـن التجارب الإنسانية، حيث تتقاطع حكايات الشخصيات لتنسج دروسًا ومعاني

تسكن الروح في كل شخصية تواجه تحدياتها، بين النجاح والإخفاق، وبين الأمل واليأس، ولكنها في النهاية، ترسم مسارًا يضيء للقارئ كيف يمكن للألم أن يصبح حافزًا، وللفرح أن يصبح حكمة.

هذه الرواية ليست مجرد قصة، بل هي نافذة تطل منها على حياة مليئة بالتجارب والاختبارات، إنها دعوة للتأمل، لإعادة النظر في معاني الفشل والنجاح، وللتساؤل: ماذا تعلمنا من الحياة حتى الآن؟ وكيف يمكن أن نعيشها بوعي يقودنا نحو السكينة والخلود؟

«فن إدارة المشاغبين»

ثمرة تعاون فكـري وإبداعي بين الدكتور أحمد بو هزاع والكاتبة هويـدا طه، تأتي هـذه الرواية لتفتح آفاقًا جديـدة في الفكر والروح. إنها ليسـت مجرد سرد للأحداث، بل رحلـة غنية بالتجارب العميقة والرؤى الإدارية الملهمة.

تجمـع الروايـة بـين نظـرة إداريـة دقيقـة، ولمسـات أدبيـة رقيقة، لتأخذ القارئ في رحلة اسـتثنائية؛ حيث تتحـول المحن إلى دروس، والمشـاغبات إلى فرص للنمو والتطور. بفضـل هذا التعاون الفريد، تجسـد الروايـة حكاية ملهمة عـن الإنسـانية والإدارة، وعـن كيفية تحويل التحديات إلى نجاحات.

دعونـا نخوض معًـا في تفاصيل هذه الرواية، التـي تعيد تعريف أساليب القيادة وفن التعامل مع النفوس.

فكرٌ لا ينام

كان الصباح يتسلل ببطءٍ خلف ستائر الليل، لكن خالدًا شعر وكأنه أتى على حين غرة، مباغتًا إياه قبل أن تهدأ المعارك التي دارت في رأسه طوال الليل.. أفكارٌ كثيرة متزاحمة، تتسابق على اجتياح ذهنه كأنها جيوش متصارعة، منعت نومه من زيارة عينيه، ذلك النوم الذي كان يومًا ما صديقًا وديعًا يرافق لياليه بلا عناء.

تأمل خالد سقف غرفته، محاولًا الإمساك ببقايا النعاس الهارب، لكن محاولاته باءت بالفشل، ففتح عينيه وأدار رأسه نحو نافذته الصغيرة؛ خيوط الشمس الأولى بدأت تخترق الزجاج وتغمر الغرفة بضوءٍ خافت، وكأنها دعوة للخروج إلى العالم، بعيدًا عن أسره الداخلي، إذ كان يعلم أنه لن يستطيع الاستمرار على هذه الحال، فنهض عن سريره بخطواتٍ مثقلة واتجه نحو الباب، عازمًا على الهروب من سجن أفكاره.

فتح خالد باب المنزل، فاندفع الهواء البارد نحوه، كأن الطبيعة ترحب به، استنشق الهواء بعمقٍ، وشعر وكأن رئتيه تنتعشان لأول مرة منذ أيام، فنظر حوله؛ الشوارع لا تزال خالية تقريبًا، إلا من

بعض القطط التي تسللت بخفة بين الأزقة تبحث عن رزقها.

خطا خطواته الأولى متجهًا إلى حيث تأخذه قدماه، فلم يكن يعلم وجهتـه، لكنـه كان يعرف أن السـير وحده في الصبـاح الباكر يحمل نوعًا من السـكينة التي يفتقدها، فالشـوارع التـي عرفها منذ صغره كانـت ضيقة، بأزقتهـا المتعرجة وجدرانها العتيقة، أشـبه بصفحاتٍ من كتابٍ يحكي تاريخ المحرق البحرينية، فكل زاوية، كل باب، كل حجر، يحمل قصة، ذكرى، أو حتى همسة من الماضي.

مع كل خطوة كان يخطوها، شـعر وكأن شـيئًا ما يثقل صدره قد بـدأ ينحسر في أصـوات الطيور وهـي تغني فوق الأشـجار، رائحة الندى التي تفوح من النباتات المتسلقة على الجدران، وصوت البحر البعيد الذي كان يتسـلل بخجلٍ إلى أذنيه؛ كل ذلك كان ينسج حوله عالمًا مختلفًا، أكثر نقاءً وهدوءًا من كل ما عرفه في الأيام الماضية.

وفجـأة، التقطـت أنفه رائحـة مألوفة، فتوقف خالد عن السـير، وكأن الوقـت قد تجمد للحظة، فتلك الرائحة... إنها رائحة التوابل! نعـم، كيف يمكنه أن يخطئها؟ كانت رائحة حارة، دافئة، تحمل معها ذكريـات طفولتـه بـكل تفاصيلها، فأغمـض عينيه للحظـة، ووجد نفسه يعود بالزمن إلى تلك الأيام التي كانت أمه تعد التوابل بنفسها في مطبخهم الصغير.

كانت أمه، خديجة، امرأة اسـتثنائية، فلم تكن مجرد أم تسـهر على

راحة أطفالها السبعة، بل كانت عمود البيت الذي لا يهتز، والسند الذي يستند إليه الجميع، فتلك الرائحة التي كانت تملأ المنزل لم تكن مجرد نكهة للطعام، بل كانت روحًا تبث الحياة في كل زاوية، حيث كانت تجلس لساعاتٍ تمزج التوابل بيدها، تضيف هذا وتزيل ذاك، وكأنها كانت تصنع وصفةً سحرية.

«يا ليتني كنت كبيرًا حينها...». قال خالد لنفسه، متذكرًا تلك اللحظات التي كان يرى فيها أمه تتعب من دون شكوى، تتحمل الحياة بكل ما فيها من صعاب من أجلهم، تمنى لو أنه كان قويًّا بما يكفي ليحمل عنها تلك الأعباء، لكن كل ما استطاع فعله آنذاك هو أن ينظر إليها بعينين صغيرتين مليئتين بالإعجاب والحب.

عاد خالد إلى منزله بعد أن قطع شوطًا كبيرًا من الطريق، ثم نظر إلى الباب الخشبي الذي دخله آلاف المرات من قبل، لكنه هذه المرة شعر وكأنه يعود إلى وطنٍ بعيد، إذ كان البيت هادئًا تمامًا، وكأن الجميع لا يزالون نيامًا، فتوجه مباشرةً إلى غرفته، وألقى بنفسه على سريره الذي كان يبدو الآن وكأنه يحتضنه.

لكن النوم لم يأتِ بعدُ، بل ظل خالد مستلقيًا، عيناه مثبتتان على السقف، وعقله لا يزال مستغرقًا في ذكرياته، فرائحة التوابل لا تزال تعبق في أنفه، وكأنها ترفض أن تغادره، كانت تلك الرائحة بالنسبة

له أكثر من مجرد ذكرى؛ كانت رمزًا للحنان، للحب، وللأمان الذي لم يجده إلا في حضن أمه.

شيئًا فشيئًا، بدأ خالد يشعر بثقلٍ في جفنيه، فالمعارك التي دارت في رأسه طوال الليل قد هدأت أخيرًا، وكأن رائحة التوابل كانت العلاج الذي احتاج إليه ليجد السلام، أغمض عينيه، وابتسامة صغيرة ارتسمت على شفتيه: «شكرًا يا أمي...». همس بصوتٍ خافت، قبل أن يغرق في نومٍ عميق، نومٍ كان أشبه بوعدٍ جديد بأن الغد سيكون أفضل.

إجازة بلا منازع

كانت الشمس قد بلغت ذروتها في السماء، تعلن منتصف النهار بصمتهِ المهيب، في منزل خالد، حيث السكينة تعم الأرجاء، كان كل شيء يشي بيوم هادئ لا يعكره شيء، خالد رب الأسرة، كان لا يزال مستغرقًا في نومٍ عميق، فتلك الإجازة التي حصل عليها أخيرًا بعد سنوات طويلةٍ من العمل المضني لم تكن مجرد راحة؛ بل كانت استراحة محارب، ينتظر أن تبتّ الأيام في أمره: إما أن يرتقي ليصبح مديرًا لإحدى الشركات الكبرى، أو أن يعود إلى منصبه الحالي موظفًا متميزًا، يواصل الركض في سباق الحياة.

وفي غرفته الواسعة، التي تتناثر فيها تفاصيل شخصيته؛ من كتب منظمة بعناية على الأرفف، إلى مكتب صغير تغطيه بعض الأوراق والملفات المؤجلة، كان خالد يغط في نوم عميق، إذ كانت ستائر الغرفة الثقيلة تحجب ضوء الشمس، وكأنها تتآمر معه ليمتد سباته بلا مقاطعة، فلم تجرؤ فاطمة، زوجته التي اعتادت احترام أوقات راحته، على إيقاظه، خصوصًا أنها تعرف كم أرهقته الحياة! فحتى طفلاه، أحمد وليلى، اللذان يملآن البيت ضجيجًا وحركة، كانا

يهمسان في لعبهما، يخشيان إيقاظ والدهما.

لكن السكون الذي سيطر على المنزل لم يكن ليبقى طويلًا، فعند الساعة الثالثة عصرًا، كان هناك طرق هادئ على الباب، فهُرعت فاطمة لفتحه، لتجد أمامها خديجة، والدة خالد، التي وقفت بابتسامتها المميزة، تحمل بيديها حقيبة صغيرة تحوي بعض الحلوى لأحفادها.

«فاطمة، هل خالد مستيقظ؟». سألت خديجة بنبرة تعكس مزيجًا من الدهشة والحنوّ،

فأجابتها فاطمة وهي تبتسم بخجلٍ:

«لا، يا خالتي، إنه لا يزال نائمًا». ثم أضافت: «إنها إجازته، وقد تركتُ له حرية النوم كما يشاء».

رفعت خديجة حاجبيها وقالت بحزم لا يخلو من دعابة: «إجازة لا تعني أن ينام حتى العصر! أين خالد الذي أعرفه؟ هذا وقت يستحق أن يُستغل».

لم تنتظر خديجة المزيد من التفسيرات، بل تقدمت بخطوات ثابتة نحو غرفة خالد، ثم فتحت الباب بخفة، وكأنها لا تريد أن تزعجه، لكنها أرادت أن تُذكره بضرورة استغلال يومه كما ربته على ذلك.

كان خالد مستلقيًا على سريره، عيناه مغمضتان، لكن ملامحه

بدت هادئة بشكل لا يخفى، فاقتربت منه وهمست بصوت حنون:

«خالد... يا خالد، استيقظ! هل يعقل أن الشمس بلغت منتصف السماء وأنت ما زلت نائمًا؟».

تحرك خالد قليلًا، ثم فتح عينيه ببطء ليجد والدته تجلس إلى جواره، فابتسم، وقال بصوت مبحوح من أثر النوم: «أمي! ما أجمل أن أستيقظ على صوتك! ماذا جاء بكِ في هذا الوقت؟».

جلست خديجة بجواره، وقالت له وهي تمسح على جبينه بحنوّ: «جئت لأراك وأطمئن عليك، لكن يبدو أنني اخترت الوقت الخطأ، هل أصبحت ممن ينامون حتى العصر؟ هذا ليس ابني الذي أعرفه».

ضحك خالد بخفة وهو ينهض من فراشه: «أمي، إنها إجازة، فاسمحي لي أن أستمتع بها كما أشاء».

«حسنًا، ولكنك تعلم أن اليوم لا ينتظر أحدًا.. هيا، استيقظ لنقضي وقتًا جميلًا معًا».

وبعد دقائق، خرج خالد من غرفته مرتديًا ملابسه المنزلية، استقبله طفلاه أحمد وليلى بحماس، وتسابقا ليجلسا بجانبه. جلس الجميع في غرفة الجلوس، حيث كانت فاطمة قد أعدت الشاي وبعض الحلوى للترحيب بحماتها.

بينما كان الجميع يتبادلون الأحاديث، أعلنت فاطمة أن الغداء

جاهز، ثم قادتهم إلى طاولة الطعام، التي كانت تزدان بأصناف شهية أعدتها بمحبة؛ الأرز الأبيض المتوج بقطع الدجاج المشوي المتبلة بإتقان، وصينية البطاطس باللحم التي تعد الطبق المفضل للعائلة، إلى جانب السلطات والمقبلات التي أضافت لمسة مبهجة للطاولة.

«هذا الطعام يبدو شهيًّا جدًّا، يا فاطمة، فلا شك أن من يملك يدين مثل يديك يجيد إسعاد عائلته». علقت خديجة وهي تتذوق قطعة من الدجاج.

فابتسمت فاطمة بخجل وقالت: «هذا أقل ما أفعله لكم، يا خالتي، فأنتم عائلتي، وإسعادكم واجبي».

وفي أثناء تناول الطعام، دار حديث دافئ بين خديجة وفاطمة، إذ بادرت فاطمة بالقول: «خالتي، لماذا لا تمكثين معنا الليلة؟ وجودك يضفي على المنزل سعادة لا توصف».

ترددت خديجة قليلًا وقالت:

«لا أحب أن أنام بعيدًا عن سريري، ولا أن أترك بيتي الذي بات جزءًا مني».

ولكن أحمد وليلى لم يمنحاها فرصة الرفض، إذ تسابقا في إقناعها بالبقاء، حتى أن خالدًا نفسه قال: «أمي، أنا في إجازة الآن، ولا شيء يشغلني، فوجودك معنا سيكون نعمة».

لم تجد خديجة سوى أن تستسلم أمام هذا الإلحاح، ثم قالت بابتسامة: «حسنًا، سأبقى الليلة، ولكن هذه الليلة فقط».

وبعد الغداء، شعرت خديجة بالتعب من كثرة تناول طعام فاطمة اللذيذ، فطلبت أن تستلقي قليلًا في غرفة الأحفاد، حيث تمددت على السرير الصغير، وكانت تبتسم وهي تسمع أصوات ضحكات أحمد وليلى في الخارج.

أما خالد فقد جلس مع فاطمة وأطفاله في غرفة المعيشة، يتبادلون الحديث عن خططهم للأيام المقبلة، حيث كان الجو مليئًا بالحب والدفء، وكأن هذه الإجازة جاءت لتعيد للعائلة روحها التي كادت تخبو وسط صخب الحياة، فقال خالد وهو

ينظر إلى عائلته بحبّ، ممتنًا لهذه اللحظات الثمينة التي جمعتهم:

«السعادة تكمن في التفاصيل الصغيرة، وفي قضاء الوقت مع من نحب».

وفي المساء، اجتمع الجميع مجددًا ليقضوا سهرة عائلية مليئة بالضحكات والذكريات، تاركين خلفهم كل هموم الحياة.

ذكريات على أجنحة الليل

في تلك الليلة المُقمرة، اجتمعت الأسرة مرة أخرى تحت سقف بيت خالد، حيث امتزج دفء الألفة بصوت الجدة خديجة التي جلست كعادتها على كرسيها الخشبي المفضل؛ الذي كان مُبطنًا بالإسفنج الكثيف الذي يغطيه الفرو الناعم، وكان ابنها قد أحضره خصوصًا لها لكي تنعم بالراحة عند زيارتها لهم. كانت الغرفة تعج برائحة القهوة الدافئة وأصوات الأحاديث المتناثرة، بينما كان أحمد وليلى يلتفان حول جدتهما بفضول الأطفال الذي لا يهدأ..

بدأت الجدة خديجة حديثها، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عذبة تحمل بين طياتها مزيجًا من الحنين والفخر: «أتذكر عندما كان خالد صغيرًا... آهٍ، يا لها من أيام! كان طفلًا شقيًّا، ولكنه طموح؛ فلم يرضَ يومًا بأن يُقال له إنه لا يستطيع تحقيق شيء».

اقترب أحمد، وهو ينظر إلى جدته بفضول: «ماذا فعل أبي يا جدتي؟».

ابتسمت خديجة وأكملت: «كان عمره عشر سنوات فقط عندما

جـاءني يومًا يطلـب بعض المال لشراء شيء قد أراده بشـدة، ولم أكن أملك ما يكفي من المال حينها، فقلت له: إذا أردت شـيئًا، عليك أن تكسبه بنفسك».

التفتت ليلى بدهشة وقالت: «وماذا فعل يا جدتي؟».

فضحكـت الجـدة بخفة، وبـدأت تـروي التفاصيـل: «كنت قد صنعت بعض الفطائر في تلك الليلة، وقد أكلنا منها كلنا وتبقى منها القليل، ولكـن في الصباح الباكر لم أجد باقي الفطائر، ولم أجد أيضًا خالدًا.

بعـد ذلـك اكتشـفنا أنه قـد أخذهـا كما هـي وباعها في السـوق، واشـترى مـا كان يريده، وما تبقـى من المال وضعـه في طبق الفطائر وقدمه لي».

ضحك الجميع على ذلك الموقف المُضحك، والذي يوحي أيضًا بالذكاء والشجاعة..

ثم أكملت الجدة حديثها: «أتعلمون أن ما فعله خالد كانت فكرة مـشروع رائع اتخذناه فيما بعد؟! فكنت أصنـع الفطائر والحلوى من أجل أن يبيعها خالد، وأبيع أنا التوابل الطيبة في السوق، ثم نعود معًا إلى منزلنا بالمكسب الذي يكفينا عدة أيام، من دون الحاجة إلى أحد».

كان خالـد يسـتمع بصمـت، وعيناه كانتـا تلمعان بحـبّ وفخرٍ

بوالدته التي غرست فيه بذور الاعتماد على النفس منذ الصغر. أما فاطمة، زوجته، فقد كانت تنظر إلى خديجة بإعجاب شديد، فلم تكن تعلم أن تلك المرأة البسيطة التي تربَّى على يديها سبعة أطفال في ظروف صعبة قد صنعت من زوجها ذلك الرجل القوي والمسؤول الذي تعرفه اليوم.

قالت فاطمة بصوت خافت: «إنه لشرف كبير أن أتعلم منكِ، يا أمي، لقد ربيتِ أبطالًا في زمن لم يكن فيه سوى الكفاح».

ردت خديجة بابتسامة مفعمة بالحكمة: «يا ابنتي، الحياة مدرسة، وكل تحدٍّ فيها هو درس نتعلم منه، فالمال لم يكن يومًا هو ما يصنع النجاح، بل القيم والعمل الجاد هما المفتاح».

ثم أضافت وهي تنظر إلى ليلى وأحمد: «تذكرا دائمًا، يا حفيديَّ، أن العمل بجد والصبر على المصاعب هما ما يصنعان الإنسان الحقيقي، فلا تخجلا من بداياتكما مهما كانت متواضعة، فالبدايات الصغيرة قد تقود إلى نجاحات عظيمة».

هز أحمد رأسه بحماس وقال: «أريد أن أكون مثل أبي، يا جدتي، لا أستسلم أبدًا!».

فضحكت خديجة بحنان ومسحت على رأسه: «وأنا أثق أنك ستكون أفضل منه».

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل عندما نظرت خديجة إلى الجميع وأردفت بحكمة تخللت كلماتها: «في النهاية، يا أبنائي، كل إنسان هو قصة تُروى، فاجعلوا قصصكم مليئة بالكرامة وبالصبر، وأيضًا بالعمل الجاد، فالحياة تعطي من يستحق، لكنها لا تمنح شيئًا لمن ينتظر دون سعي».

ساد الصمت للحظاتٍ، وكأن كلماتها كانت تتردد في أذهان الجميع، فلم تكن مجرد كلمات، بل كانت درسًا حيًّا مستوحى من تجربة عمرها طويل، في تلك اللحظة، شعر الجميع بأن اجتماعهم الليلي كان أكثر من مجرد جلسة عائلية، بل كان تذكيرًا بأهمية القيم التي تزرعها الأسرة في أبنائها، وكيف تبقى هذه القيم نورًا يهديهم في دروب الحياة.

صباح المفاجآت والوداع

«استيقظ يا خالد، استيقظ...». جاء صوت فاطمة، وهي تهز كتف زوجها بلطف، لكنها لم تتلقَّ سوى ردود متذمرة:

«ماذا حدث؟ أريد النوم، اتركيني أنام...».

أصرت فاطمة بصوت أكثر جدية:

«هاتفك يدق منذ ساعة، حاولت تجاهله، لكن يبدو أن الأمر مهم جدًّا؛ هذا الشخص لا يتوقف عن الاتصال».

فتح خالد عينيه بصعوبة، واعتدل في جلسته وهو يتمتم:

«حسنًا، دعينا نرى من يجرؤ على إزعاجي وإزعاج زوجتي العزيزة!».

ثم أمسك الهاتف، ورد بصوت يحمل آثار النوم:

«السلام عليكم، من المتصل؟».

انطلق صوت دكتور عادل من الطرف الآخر، وكان كافيًا لإيقاظ خالد تمامًا:

«مرحبًا، دكتور عادل... تفضل، أسمعك جيدًا... ماذا؟ هل هذا صحيح؟! شكرًا جزيلًا، مع السلامة دكتور عادل، وإن شاء الله سأكون عند حسن ظنكم».

وضعت فاطمة يديها على خصرها، تتطلع إليه بدهشة ممزوجة بالغيرة:

«من كان هذا؟ وما الذي قاله ليوقظك بهذه الطريقة؟».

فنهض خالد مبتسمًا وقد بدأت علامات الفرح تظهر على وجهه:

«لقد أصبحت مديرًا في الشركة، يا فاطمة... لقد تحقق حلمي أخيرًا!».

فصاحت فاطمة بفرح وهي تصفق يديها:

«مبارك عليك، يا زوجي الغالي! أخيرًا أصبحت مديرًا، وأنا زوجة المدير! يجب أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة».

فابتسم خالد بحنان وقال:

«لا تستعجلي الأمور، يا عزيزتي، فاليوم سيكون مليئًا بالتفكير والتخطيط، ولكن قريبًا سنحتفل كما يليق بهذا الإنجاز».

بينما كان خالد يستعد لهذا اليوم الجديد، دخلت خديجة، والدته، إلى غرفة الجلوس مستندة إلى عصاها، وعليها ملامح البهجة الممزوجة بالارتياح، فالتفتت فاطمة نحوها مبتسمة:

«أمـي، وكأنك تسـتعدين للعودة إلى منزلك، فنحن لم نشـبع من وجـودك بيننـا بعد، رجـاء يا أمي امكثـي يومًا آخر وسـنكون جميعًا سعداء لذلك».

فأجابتها خديجة وهي تبتسم:

«لقد مكثت معكم أكثر مما نويت يا فاطمة، وسـعدت كثيرًا بكم جميعًا، وإن شاء الله سأعود قريبًا».

ثـم دخـل خالد وقد سـمع حديثهما، وعلـم أن والدتـه قد نوت العودة إلى منزلها، فسألها:

«هل تشعرين بأنك قادرة على العودة إلى منزلك اليوم يا أمي؟».

أومأت خديجة برفق وقالت:

«نعـم يا بنـي، لقد تعبتم معي كثيرًا ليلة أمس، وأشـعر باشـتياق لبيتـي الآن، فأنـت تعلم أني لا أطيق الابتعاد عنـه يومًا واحدًا، ولن أنسى رعايتكما لي».

فاقترب خالد منها ليقبل رأسها:

«أنـتِ تاج فوق رؤوسـنا، يـا أمي فلا داعـي للعجلـة، إذا كنتِ بحاجة للبقاء يومًا آخر، فهذا بيتك».

فابتسمت خديجة وربّتت على يده:

«لا يا بني، سأعود إلى بيتي اليوم، وإن شاء الله ستتكرر زيارتي إليكم مجددًا، فأنا أشتاق دائمًا لرؤية أحفادي».

قامت فاطمة بتحضير حقيبة صغيرة لخديجة، تضم بعض المخبوزات التي قد أعدتها من قبل، وقليلًا من الحلوى، بينما جلس خالد بجوارها ليخبرها عن المنصب الجديد، والذي أسعدها كثيرًا، ثم بدأ يتحدث معها عن خططه في ذلك المنصب، وكأنه يريد أن يخبرها بأنه الآن قد حقق وعده لها بأن يكون دائمًا في القمة، فقال مُبتسمًا:

«أريدك أن تفخري بي، يا أمي، سأبذل قصارى جهدي لأكون مديرًا ناجحًا، وأحقق كل ما تمنيته من أجلك».

فأمسكت خديجة بيد ابنها وقالت:

«أنا فخورة بك منذ اليوم الأول، يا خالد، فالنجاح لا يقاس بالمناصب فقط، بل بكونك إنسانًا طيبًا ومجتهدًا».

وبعد فترة قصيرة، جاءت السيارة التي ستقل خديجة إلى منزلها، فودعها خالد وفاطمة بحب ودعوات بالسلامة، ووقفا على عتبة المنزل يلوّحان لها حتى اختفت السيارة في الأفق.

وبعد قليل عاد خالد إلى الداخل، وارتدى بدلته الجديدة التي كانت معلقة في خزانته منذ أسابيع، في انتظار هذه اللحظة، ثم وقف

أمام المرآة يتأمل نفسه، وشعور بالرهبة يتسلل إلى قلبه، لكنه سرعان ما استبدله بابتسامة واثقة:

«اليوم هو البداية الحقيقية، فسأثبت لنفسي وللجميع أنني أهل لهذا المنصب».

ثم جاءت فاطمة ووقفت خلفه، تربت على كتفه:

«أنا واثقة أنك ستنجح، يا خالد، فقط كن كما أنت، وستحقق ما تصبو إليه».

ثم ودع خالد زوجته بحب، وغادر المنزل متجهًا إلى الشركة لأول مرة باعتباره مديرًا للمبيعات، لا موظفًا -كما اعتاد في السابق- حاملًا في قلبه آمالًا كبيرة وطموحات لا حدود لها.

حديث النفس

اليـوم هـو اليوم الـذي كان خالد ينتظـره منذ زمـن طويل، فهذا اليـوم الـذي حقق فيـه حلمه أخـيرًا؛ أصبح مديـرًا للمبيعـات بعد سـنوات من الانتظار والصـبر والعمل الجاد، وبعدما نجح في تخطي كل العوائق والصعاب التي واجهته، إذ كانت الأخبار بمنزلة شرارة أضاءت كل خلية سـاكنة في جسده، وأشـعلت نبضات قلبه بالفرح الـذي جعـل الدماء تتدفـق في عروقه بقوة، وكأن محـركًا قويًّا قد بدأ يعمل بداخله.

كانت تلك اللحظات بمنزلة تنشيط لحماسته، حتى إن الإحساس بالحيويـة كان قويًّـا لدرجـة أن خالـدًا شـعر وكأنه مسـتعد للركض مسـافات طويلة، من دون أن يشـعر بتعب أو جهد، وكأن قدميه لا تلامسان الأرض.

فلقـد كان يشـعر كـما لـو كان يطـير في السـماء، يخترق السـحب والغيـوم، ويواجـه الشـمس الحارقة، مـن دون أن يـذوب فيها، بل كانت تلك الشـمس تـزداد توهُّجًا بتلـك الطاقة التـي تغمره الآن، فربما كان يشعر كذلك وكأنه يغوص في محيط عميق ويصل إلى أعمق

نقطة فيه، واقفًا على القاع، منتصرًا على نفسه وعلى كل التحديات التي مر بها، فقليلون من هم في مثل سنه يصبحون مدراء في شركات كبيرة كهذه، ولكن خالد، ذلك الرجل الثلاثيني صاحب الجبهة العريضة والملامح الطيبة والجسد الطويل الذي تظهر على ملامحه اللياقة البدنية، وتلك السُّمرة التي صُبغ بها وجهه الهادئ من أثر العمل الدائم تحت أشعة الشمس، قد وصل إلى منصب يحلم به كثير من كبار السن في مجاله. لكن ما لم يعرفه الكثيرون هو أن في داخله روح الشخص الذي مر بتجارب الحياة القاسية، تعلم خلالها الكثير وواجه صعوبات عدة.

ولكن، وبالرغم من هذا الفرح، كان لابد أن يهدأ قليلًا، حيث كان يحتاج إلى أن يأخذ نفسًا عميقًا، وأن يوقف هذا الحماس الجامح في داخله، ليتمكن من التفكير بعقلانية، فكان يتساءل: ماذا بعد؟ هل سيصبح المدير الحازم الذي لا يتسامح مع أي نوع من الاستهتار أو الكسل في العمل؟ أم أنه سيتبع طريقة أخرى في التعامل مع موظفيه، تلك الطريقة التي اعتاد أن يتميز بها حتى في أصعب المواقف؟

كان خالد يشكك في نفسه للحظة، ويتساءل: هل سيكون مثل أولئك الذين يظنون أن المنصب يعطيهم الحق في إهانة الآخرين؟ هل سيتخذ دور الجلاد الذي يعاقب المخطئين ويزرع في نفوسهم كرهًا، حتى إذا جاء موعد رحيله احتفلوا؟

لكن سرعان ما أبعد تلك الفكرة عن ذهنه، مؤكدًا لنفسه أنه لن يكون هكذا، بل إنه سيطمح أن يقتدي بذلك المدير الصيني الذي عمل معه في بداية حياته المهنية، فكان ذلك المدير بمنزلة معلم حقيقي له؛ رجل حكيم يتحلى بقدرة غير عادية على الجمع بين الجدية والصبر، إذ كان يولي أهمية خاصة لتوثيق العمل، ويؤمن بأن كل مشكلة سابقة يجب أن تُسجل بعناية لضمان الوصول إلى حلول فعّالة، فكانت هذه الطريقة هي التي جعلت خالدًا يدرك قيمة إدارة المعرفة بشكل عملي.

لم يكن ذلك المدير مجرد شخص يُشرف على العمل، بل كان بمنزلة معلم حقيقي يزرع في نفوس موظفيه احترام العمل وإتقانه، إذ كان لذلك تأثير عميق في مسار حياة خالد المهنية.

جلس خالد يتذكر أنه في أحد الأيام التي كان يعمل فيها مع ذلك المدير، وقع في خطأ بسبب سرعته في إنجاز المهام، فشعر بالخوف والقلق من ردة فعل المدير، لكن رده كان هادئًا جدًّا، فطلب منه أن يظل في العمل لإصلاح الخطأ، دون أن يوبخه أو يعاتبه.

وفي اليوم التالي، بعد أن أُصلِح كل شيء، نظر إليه المدير بهدوء وقال: «لا تكرر ذلك». كانت تلك الكلمات بسيطة، لكنها حملت في طياتها درسًا عميقًا، فقد أدرك خالد أن الأزمات تتطلب من القائد أن يتحلى بالهدوء، وأن يركز على إصلاح المشكلة أولًا قبل توجيه

اللوم، كان هذا الأسلوب في القيادة بالنسبة لخالد مثالًا حيًّا على كيفية التعامل مع الأزمات بكفاءة، وأهمية الهدوء في بناء بيئة عمل إيجابية.

قبل العاصفة

لا تـزال اللحظـات الأولى لخـبر ترقيـة خالد محفـورة في ذاكرته، كأنها حدثت بالأمس، فقد جاء الخبر فجأة، ولم يمنحه الوقت الكافي لاسـتيعاب مـا يعنيـه؛ الانتقـال إلى إدارة المبيعات، كان الإحسـاس مختلطًـا بين الفرح بالمنصـب الجديد وما يحمله من آفاق واعدة، وبين رهبة المسؤوليات الثقيلة التي لم يكن له بها عهد.

وفي تلك الأيام، كان مكتبه الصغير ملاذًا آمنًا بالنسبة إليه، إذ كانت جدرانـه الباهتة وملفات العملاء المتراكمـة تعكس روتينًا قد اعتاده خالـد، وإن حمل في طياته ملـلًا مألوفًا، لكنه كان يجد في هذا الروتين راحـة ما، لأنه يعـرف تفاصيله جيـدًا. كانت الترقيـة تعني الخروج مـن دائـرة الأمان تلك إلى عـالم جديد مـليء بالتحديـات المجهولة.

وفي أثناء جمعه لأوراقه القديمة، اسـتعدادًا لمغـادرة مكتبه، دخل عليـه زميـل قديم، لم يلتقِ به منذ سـنوات، كان هذا الزميل يعمل في الشركـة منذ بدايـات خالد المهنيـة، ويعرف أروقتهـا وسراديبها كما يعرف كف يده، فجلس الزميل أمامه وبدأ الحديث بلا مقدمات:

«سمعت أنك ستنتقل إلى إدارة المبيعات».

كانت نبرته جادة، مزيجًا من التحذير والنصح؛ ما أثار فضول خالد..

ثم تابع الزميل كلامه بنبرة مليئة بالثقة:

«قسم المبيعات ليس كغيره، فهناك شخصيات معقدة وذات دهاء خاص.. يجب أن تكون حذرًا، وألا تأخذ الأمور ببساطة».

ثم بدأ الزميل يسرد تفاصيل دقيقة عن زملاء خالد الجدد، وكأنما يقدم خريطة لشخصياتهم، فتحدث أولًا عن فهد محمد، رئيس فريق المبيعات الميدانية:

«فهد يعرف السوق كما يعرف جيوبه، يمتلك شبكة علاقات واسعة ومعرفة دقيقة بالمجال، لكنه شديد الحساسية تجاه كبريائه، فإذا شعر أنك تحاول تجاوزه، فسيدخلك في متاهة من التفاصيل المعقدة التي قد تستنزف وقتك وطاقتك».

ثم انتقل الحديث بعد ذلك إلى علي يوسف، مسؤول المبيعات الداخلية:

«أما عليٌّ فهو عملي جدًّا ويحب الإنجاز السريع، لكنه يكره النقاشات الطويلة والاجتماعات، فإذا لاحظت أنه ينسحب، فاعلم أن هناك خللًا في طريقة تعاملك معه».

وبعد ذلك أضاف هذا الزميل ملاحظاته عن مريم حسن، مديرة

التسويق الرقمي:

«مريم دقيقة بشكل استثنائي، تراجع كل تفصيلة قبل أن تتخذ أي خطوة، ولكنها لا تتحمل الضغط أو الإلحاح، فإذا شعرت بأنك تستعجلها، فقد تُبطئ العمل بشكل متعمد، من دون أن تصرح بذلك».

وأخيرًا، أشار إلى سلمان عبد الله، مسؤول العلاقات مع العملاء:

«سلمان شاب طموح يحب التجديد والابتكار، لكنه قد يندفع أحيانًا من دون دراسة كافية، فعليك دائمًا مراجعة خططه بعناية، لأن اندفاعه قد يضعك في مواقف حرجة».

«أما ماهر سلامة، فهو قصة مختلفة تمامًا. شخص نشيط للغاية، لا يهدأ أبدًا، وستراه دائمًا يتنقل بين المكاتب، يحمل الملفات، ويُنجز المهام بسرعة مذهلة. لكنه، ورغم كل هذا النشاط، يعشق الحديث عن الآخرين. ستجده يروي القصص عن زملائه، يُسهب في التفاصيل، ويُضيف القليل من التوابل إلى كل حكاية لتبدو أكثر إثارة.

ماهر يعرف كل صغيرة وكبيرة عن الجميع؛ من مواعيد إجازاتهم إلى أخطائهم الصغيرة التي لم ينتبه إليها أحد. لكن عليك أن تكون حذرًا في التعامل معه؛ لأنه قد يستخدم ما يعرفه لإشعال الصراعات أو لكسب النفوذ. نصيحتي؟ لا تعطه أي تفاصيل عن حياتك الشخصية أو قراراتك المهنية، لأنه سيجد طريقة لتحويلها إلى حديث اليوم التالي في المكتب".

كانـت كل شـخصية تبدو أشـبه بلغز معقـد، وكل واحـدة منها تتطلب تعاملًا خاصًّا ولغة مناسبة للتواصل.. بدا الأمر لخالد وكأنه يواجه تحديًا نفسيًّا بقدر ما هو إداري.

غـادر الزميـل بعـد أن أنهـى نصائحـه، تـاركًا خالدًا وحيـدًا مع أفكاره، جالسًـا في مكتبه يتأمل تلك الخريطة التي رسمها له، يحاول تصور ملامح كل شخصية، ويضع خططًا للتعامل معها، ولكنه كان يدرك في قرارة نفسه أن الواقع قد يحمل مفاجآت لم تكن في الحسبان.

عندما عاد إلى المنزل في ذلك اليوم، لم يكن خالدًا نفسـه، فشـعور الإرهـاق النفسي من كمّ الأسـئلة التي تـراود ذهنه طغى على فرحته بالمنصـب الجديـد، ثم جلـس في غرفته، يغرق في أفـكاره المتضاربة، وفي لحظة صمت، ابتسم وقال لنفسه:

"ربما يكون هذا هو الاختبار الحقيقي".

كان يعلم أن التحدي الحقيقي ليس فقط في المنصب، بل في قدرته على قيادة فريق مليء بالتنوع والتعقيد، دون أن يفقد توازنه أو شغفه بالنجاح.

في قلب الحدث

كان اليوم الأول لخالد بوصفه مديرًا في المؤسسة يومًا استثنائيًّا، إذ حملت كل خطوة يخطوها رهبة البداية، فمنذ اللحظة التي عبر فيها الباب الرئيسي، شعر وكأن الجدران المحيطة تراقب حركاته، وكأن للمبنى عيونًا غير مرئية ترصد تفاصيله، لم تكن تلك مجرد أوهام؛ فعيون الموظفين كانت تلاحقه، بعضهم بفضول متسائل، والبعض الآخر بحذر صامت، كان ثقل تلك النظرات حاضرًا، وكأن كل شخص يطرح آلاف الأسئلة من دون أن ينطق بكلمة واحدة: «من هذا المدير الجديد؟ هل سيغيّر الأمور جذريًّا، أم سيمضي مثل غيره؟».

كان خالد مدركًا تمامًا لما يدور في أذهانهم، فقد كان في مكانهم يومًا ما، حين كان موظفًا جديدًا يراقب القادمين الجدد بعين مماثلة، فكان يعرف جيدًا أن المؤسسة، بكل ما تحمل من طموحات وتحديات، هي ساحة للتوقعات والقلق، فالبعض ينظر إلى المستقبل بتفاؤل حذر، بينما يترقب آخرون ما سيحدث بخوف وتحفُّظ.

شغل خالد نفسه بتأمل تلك الأجواء المتوترة التي تسود المكان، وهو يدرك أنه بحاجة إلى وقت وجهد لإقناع الجميع بأنه ليس مجرد

مسـؤول آخـر، بل قائد يحمـل رؤيـة، إذ كان يعلـم أن دوره الجديد يتطلب منه الكثـير، ليس فقط على صعيد القرارات الإدارية، ولكن أيضًا في بناء جسور الثقة مع فريق العمل الذي يشكل قلب المؤسسة. وعندمـا حـان وقت الاجتـماع الأول، وقـف خالد أمـام الموظفين، وكانـت عينـاه تلتقـط أدق التفاصيـل في وجوههم، فكانـت القاعة ممتلئـة بمزيـج من المشـاعر: فضـول، تحفُّـظ، وحتى بعـض النفور، فالبعض كان يبتسـم ابتسـامة حـذرة، بينما اكتفى آخـرون بتعبيرات متجهمة تعكس شكوكهم العميقة.

بدأ خالد حديثه بنبرة هادئة وواثقة، مشـيرًا إلى رؤيته للمسـتقبل وأهميـة التعاون بين المدير وفريقه لتحقيـق النجاح، فلم يكن خطابه مجرد كلـمات رنانة، بل كان محاولة صادقة لإيصال رسـالة واضحة: «أنا هنا لأعمل معكم، لا لأصدر الأوامر من برج عالٍ».

ومـن خلال حديثـه، حرص على تحقيـق توازن دقيـق بين الحزم واللين، بين الشـفافية والتحفظ، فقـد أراد أن يُظهر لهم أنه قادر على القيادة من دون أن يتسـبب في نفور أو قلق، فكان يدرك أن الانطباع الأول هـو مفتـاح بناء الثقة، لكنـه أيضًا كان يعلـم أن الثقة الحقيقية تُكتسب عبر العمل اليومي والالتزام المستمر.

وفي نهايـة الاجتـماع، لاحـظ تغـيرًا طفيفًـا في الأجـواء، لم تكـن الحواجـز التي تفصل بينه وبين فريقه قد انهـارت تمامًا، لكنها بدأت

بالتصدع، كانت تلك بداية صغيرة ولكنها مشجعة.

غـادر خالـد القاعـة مُتجهًـا إلى مكتبـه الجديـد، وهـو يفكـر في التحديـات المقبلـة، إذ كان يـدرك أن الطريـق أمامـه طويـل، وأن النجاح لن يأتي بسـهولة. ومع ذلـك، كان واثقًا بقدرته على مواجهة تلك التحديات بعزيمة لا تنكسر ورؤية واضحة للمسـتقبل، خطوة بخطوة، كان يخطط لأن يكون المدير الذي يترك أثرًا عميقًا في نفوس الجميع، أي المدير الذي لا يُنسى.

العاصفة الهادئة

وفي ذلـك الصباحِ الثقيل الذي بدأ باجتـماع خالد الأول في تلك الشركة بدا وكأن الهواء نفسـه قد صار أكثر كثافة، بدأت رحلة خالد مـع يوم جديد يكاد يختلـف عن كل ما عرفه من قبـل، فخطواته إلى مكتبـه كانـت تحفها مخاوف خفيـة وتوقعات مشـوبة بالقلق، وكأنها تمهيـد لمعركـة شرسـة يعلم أنهـا اختبـار حقيقـي، فالنجـاح في هذا المنصـب الجديـد يتطلـب منـه أن يكون على مسـتوى التحـدي، أما التردد فقد يقوده للتعثر منذ اللحظة الأولى.

ومـا إن وصـل خالـد إلى مكتبـه الجديـد، حتـى غمـرت المكان عبـارات التهنئـة والابتسـامات المصطنعة التي كانـت تخفي وراءها نظـرات فضوليـة لا تخلو من ترقُّب، فبدا المشـهد وكأنـه حقل ألغام خفي، يحتاج فيه كل تحرك إلى دراسة دقيقة.

كان لقـاؤه الأول بسـكرتيرته الجديـدة، سـارة منصـور، بدايـة ليوم مليء بالمفاجآت. كانت سـارة تحمـل ملامح حذر، لكنها تملك

نظـرة حادة تدل عـلى ذكاء فطـري، كان حديثها مقتضبًـا لكنه مليء بالتلميحـات التي أكـدت لخالد أنها تعرف خبايـا المكان وتفاصيله، حيـث شـعر خالد بأنهـا سـتصبح اليـد الخفية التـي يحتـاج إليها في مواجهـة تحدياتـه المقبلة؛ فهي تـدرك تمامًا من يحـرك الخيوط في هذا المكتب، ومن يسعى للصعود، ومن يخطط للإيقاع بالآخرين..

اسـتمر يومه الأول بسلسـلة من الاجتماعات مع رؤساء الفرق، فكل لقاء كان يحمل نكهة خاصة، وكأنها مباراة غير معلنة بين خالد وهـؤلاء القـادة، حيث كان أولهـم فهد محمد، رئيـس فريق المبيعات الميدانيـة، فهـو رجل طويـل القامة، صوتـه جهـوري وكلماته حادة وواضحة. تحدث عن السـوق كأنه يصف ساحة معركة، شعر خالد بأن فهد يسـعى لإثبـات أنه يعـرف كل صغيرة وكبـيرة، وبأنه ليس مجرد موظف، بل هو من يدير الأمور على طريقته الخاصة.

ثم أتى اللقاء مع علي يوسـف، مسؤول المبيعات الداخلية، الذي بدا مختلفًا تمامًا، إذ كان عليٌّ هادئًا، قليل الكلام، يفضل العمل خلف الكواليـس من دون إثارة الانتباه، أما مريم حسـن، مديرة التسـويق الرقمـي، فقـد كانت عكس ذلـك تمامًا؛ دقيقـة ومنهجيـة، لكنها لم تُخـفِ توترها من وجـود خالد. وأما اللقاء الأخير فكان مع سـلمان عبد الله، مسـؤول العلاقات مع العملاء، الـذي دخل بروح مفعمة بالطمـوح والتفـاؤل، لكن حديثه أثار تسـاؤلات في ذهن خالد عن مدى استعداده للتعامل مع هذا الحماس المندفع.

ومع نهاية اليوم الأول، عاد خالد إلى مكتبه غارقًا في التفكير، حيث كانت شخصيات الفريق كقطع شطرنج، كل قطعة تحمل دورًا وقدرات خاصة، لكن أي حركة خاطئة قد تكون مكلفة، فبدأ يدرك أن النجاح في هذا المنصب الجديد لن يكون سهلًا، وأن الصراع الخفي بين أعضاء الفريق قد يشكل عائقًا كبيرًا أمام تحقيق أهدافه.

وفي اليوم التالي، جلس خالد أمام المدير التنفيذي الذي وجه له تحذيرات واضحة وصريحة، فقد أكد المدير أن إدارة المبيعات ليست كأي إدارة أخرى، فهي مليئة بالقنابل الموقوتة التي تحتاج إلى تعامل حذر ودقيق: «هنا ستجد أشخاصًا يبدون طموحين، لكنهم قد يجلبون الفوضى، وآخرين يتصرفون بدافع الغيرة والتنافس، فعليك أن تحكم عليهم من خلال أفعالهم لا كلماتهم».

هذا الحديث ترك أثرًا عميقًا في نفس خالد، كأن المدير أراد أن يضعه أمام الواقع بكل صوره المعقدة، فأدرك أن التحدي الأكبر لا يكمن فقط في إدارة العمل، بل في إدارة العلاقات والصراعات الخفية التي بدأت تتكشف أمامه.

مرت الأيام الأولى ثقيلة، وكأن خالد يسير على حبل رفيع بين السماء والأرض، فالجميع يراقبه، وهو بدوره يراقب الجميع، وأصبح مكتبه أشبه بمسرح لصراع صامت، حيث لكل حركة أو كلمة وقعها الخاص، وبينما كان يحاول فهم ديناميكيات الفريق، شعر بأنه

على مشارف عاصفة قادمة، عاصفة ستختبر قدراته بشكل لم يتوقعه.

وهكـذا، بـدأ خالـد رحلته في هـذا المنصـب الجديد، مـدركًا أن اللعبـة أكـبر ممـا كان يتصور، فهـي لعبـة تحتـاج إلى ذكاء، وحكمة، وقـوة؛ لإدارة القلـوب والعقـول، وللعبور بأمان وسـط حقل مليء بالتحديات الخفية.

حين تُشفى الأرواح بالإنسانية

في مساء يوم هادئ، كان خالد منهمكًا في متابعة تقارير العمل على مكتبه عندما لاحظ غياب عبد الرحمن، أحد موظفي الشركة، لأكثر من أسبوع، فتساءل في نفسه: «هل تعرض لمشكلة؟». لم يكن خالد من النوع الذي يترك الأمور من دون متابعة، فهو يدرك أن العمل لا يقتصر على الأرقام والتقارير، بل يشمل أيضًا البشر الذين يجعلون تلك الأرقام ممكنة.

وبعد ساعات قليلة، حصل على عنوان عبد الرحمن من قسم الموارد البشرية، وقرر زيارته فور انتهاء دوامه، فقد رأى أنه مسؤول عن كل موظف في الشركة، حتى لو كان في مثل تلك الظروف التي تعرض لها عبد الرحمن.

قاد خالد سيارته نحو الحي الذي يسكن فيه عبد الرحمن، وكان الحي بسيطًا، بطرقه الضيقة ومنازله المتراصة، لكنه ينبض بروح دافئة، فتوقف عند محل زهور كان في طريقه لمنزل ذلك الرجل، ثم اشترى باقة زهور بيضاء، ليدخل بها لمسة إنسانية على زيارته. عندما وصل خالد إلى منزل عبد الرحمن، لاحظ واجهته البسيطة ونباتات

خـضراء صغـيرة تزين مدخلـه، ثم طـرق الباب بخفـة، ففتحت له زوجـة عبد الرحمن، وهـي امرأة تبـدو عليها علامـات التعب رغم ابتسامتها الترحيبية.

قال لها: «السلام عليكم، أنا خالد، مدير عبد الرحمن في الشركة.. أردت الاطمئنان عليه». رحبت به قائلة: «وعليكم السلام ورحمة الله، مرحبًا بك تفضل، سـيد خالد، عبد الرحمن سيسعد كثيرًا برؤيتك».

ثم دخل خالد المنزل، حيث اسـتقبله عبد الرحمن بابتسامة، رغم علامـات الإرهاق التي بدت عليه، فجلسـا معًا على كنبة صغيرة في غرفة بسيطة، تُظهر كل زاوية فيها معالم حياة متواضعة ولكن دافئة، بـدأ عبـد الرحمن يحكـي عن حادث السـير الذي تعرض لـه في أثناء عودته من العمل، وكيف أصيب بكسر في ساقه؛ ما أجبره على البقاء في المنزل للتعافي.

وخـلال الحديـث، دخل ثلاثـة أطفال، محمد وسـارة وياسـين، بابتسـاماتهم الخجولـة وفضولهم الـبريء، فقال عبـد الرحمن بفخر: «هـؤلاء هـم أولادي، أعـز ما أملـك». اقترب خالد منهـم، وربت عـلى رأس محمـد قائلًا: «ما شـاء الله، أطفـال رائعون، مـاذا تريد أن تصبح عندما تكبر يا محمد؟». أجاب محمد بحماس: «أريد أن أصبح مهندسًا!». ضحك خالد وقال: «أثق في أنك ستكون مهندسًا ناجحًا».

وبينما كانت الزوجة تقدم العصير، اسـتمر الحديث بشكل ودي،

حيث طمأن خالد عبد الرحمن بأن كل شيء في العمل يسير على ما يرام، وأن زملاءه يسألون عنه باستمرار، وأيضًا تحدث الأطفال عن أحلامهم وطموحاتهم؛ ما جعل خالد يشعر بأهمية دعمه لهذه الأسرة، ليس فقط كمدير ولكن كإنسان.

أنهى خالد زيارته بوقوفه وتقبيل رأس الأطفال الثلاثة، ثم أخرج ظرفًا صغيرًا من جيبه ووضعه على الطاولة قائلًا: «هذا شيء بسيط لمساعدتك على المصاريف، حتى تعود إلينا سالمًا». حاول عبد الرحمن رفضه في البداية، لكنه قبِل في النهاية، بعد أن رأى إصرار خالد وصدقه.

وبعد ذلك غادر خالد المنزل وقلبه مليء بالرضا، فقد أدرك أن القيادة الحقيقية ليست فقط في تحقيق الأهداف، بل في الوقوف بجانب الناس في أوقات حاجتهم، إذ كان يعلم أن زيارته هذه لن تُنسى، ليس لأنها زيارة مدير لموظف، بل لأنها تجسيد لمعنى الإنسانية التي يجب أن تكون أساس كل علاقة.

حديث الليل

عـاد خالد إلى منزله في سـاعة متأخرة من الليل بعـد زيارته لعبد الرحمـن. كان المنزل هادئًـا إلا من صوت السـاعة التي تملأ الأجواء بصوتها الرتيب، فتح البـاب بهدوء، ودخل غرفة النوم ليجد فاطمة جالسة على السرير تقرأ كتابًا صغيرًا تحت ضوء المصباح الخافت.

رفعت فاطمة رأسـها عندما شـعرت بوجوده، وأغلقت الكتاب بابتسامة خفيفة، وقالت:

«خالـد لقـد تأخرت الليلـة وقلقت عليـك عندمـا كان جوالك مغلقًا، هل كل شيء على ما يرام؟».

جلس خالد على طرف السرير بصمت للحظات، ثم أطلق زفرة عميقة وهو يخلع حذاءه، وقال بصوت مليء بالثقل:

«كنـت عنـد عبد الرحمـن، موظف عندنـا بالشركة، وقـد وقع له حادث سير».

فسألته فاطمة مستاءة لما سمعته:

«وكيف هي حالته؟ هل هو بخير؟».

هز خالد رأسه بأسى وقال:

«حالته... مؤثرة يا فاطمة، فقد جلست معه اليوم، ورأيت إنسانًا يحاول التماسك رغم كل ما يمر به، فساقه مكسورة، وجسده يبدو عليه المعاناة من أثر الحادث. أما عن زوجته التي تبدو مرهقة من حمل أعباء الأسرة، وأطفاله... يا الله، أطفاله يملؤون المكان بالبراءة، ولكنك تشعرين بثقل الحياة في عيونهم».

اقتربت فاطمة منه وجلست بجانبه وقالت بحنان:

«ما الذي أثر فيك إلى هذا الحد؟

فحمدًا لله أنه كسر في الساق فقط، ليس ضررًا كبيرًا، فأنت تعلم يا عزيزي أن حوادث السير تنتج عنها أضرار أكبر من ذلك، هذا إن كُتب عمر جديد لمن حدث له مثل هذا، حفظك الله يا زوجي».

أخذ خالد نفسًا عميقًا وقال:

«تخيلي، يا فاطمة، لو لم يخرج عبد الرحمن حيًّا من ذلك الحادث، تخيلي زوجته التي بالكاد تستطيع إدارة أمور المنزل وحدها، وأطفاله الثلاثة الذين يحلم كل منهم بمستقبل مشرق، فكنت أنظر إليهم وأفكر: كيف كانت حياتهم ستنقلب رأسًا على عقب؟ وكيف كنت سأتحمل مسؤولية هذه الأسرة وأنا مديره الذي لن يتحمل تركهم يعانون من دون مساعدتهم؟ فشعرت بثقل هائل على كتفي وأنا أجلس بينهم».

فوضعت فاطمة يدها على يده وربتت عليها بلطف، وقالت:

«لا شك في أن الله كتب له النجاة لحكمة يا خالد، ربما ليكون بجانب أسرته، وربما ليذكرك بأن الحياة ليست أبدًا مضمونة».

فنظر خالد إليها وقال:

«هذا ما يجعلني أشعر بالخوف، ماذا لو حدث لي شيء مشابه أو أكثر من ذلك؟ كيف ستعيشين أنتِ وأطفالنا؟».

فابتسمت فاطمة ابتسامة صغيرة وقالت:

«لا تحمل همًّا زائدًا يا خالد، فنحن نعيش على قدر الله، والخوف لن يغير شيئًا، الأهم أن نعيش كل لحظة بحب وامتنان، وأن نساعد الآخرين كلما استطعنا».

صمت خالد قليلًا ثم قال:

«لهذا السبب كنت أشعر بأنني مضطر للذهاب إليه، فكنت أرى في زيارتي تلك فرصة لأن أكون جزءًا من دعمه، فقد أحضرت له باقة زهور، وأعطيته جزءًا من المال في ظرف، وأيضًا تحدثت معه ومع أسرته وحاولت أن أشعرهم بأنهم ليسوا وحدهم. ولكن رغم ذلك، أشعر أنني لم أقدم لهم ما يكفي».

فقالت فاطمة بنبرة مطمئنة:

«أحيانًا يا خالد، كلمة طيبة أو زيارة بسيطة تكون أعظم من أي دعم مادي، فيكفي أنك جعلته يشعر بأن هناك من يهتم به».

فهز خالد رأسه موافقًا وقال:

«أتمنى ذلك، لكن لا أنكر أن هذه التجربة أعادت لي الكثير من التفكير، أتعلمين؟ لقد ذهبت بسيارتي بالقرب من الشاطئ أفكر في العمل والمهام اليومية التي تجعلنا ننسى أحيانًا الجانب الإنساني، وأدركت اليوم أن القيادة ليست في الأوامر أو الإنجازات، بل في احتواء البشر الذين نعمل معهم».

ابتسمت فاطمة وقالت:

«أعتقد أنك أدركت شيئًا مهمًّا جدًّا، وهذا سيجعل منك قائدًا أفضل».

نظر إليها خالد بعينين مليئتين بالامتنان وقال:

«وأنتِ دائمًا تجعلينني أرى الأمور بوضوح، فلا أعرف ماذا كنت سأفعل من دونك!».

فربتت على كتفه بلطف وقالت:

«سأكون دائمًا بجانبك، يا خالد، والآن، أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة».

ضحك خالد وقال:

«أعتقد أنكِ على حق، فغدًا لدي يوم طويل، لكنني أشعر أن هذه الليلة كانت درسًا لن أنساه أبدًا».

شبح الصراعات الداخلية

بدأ اليوم بنوع من السكينة، لكن السكون لم يكن إلا غطاءً يسبق العاصفة، حيث كان المكتب يحمل أجواءً ثقيلة، بدا المكان وكأنه مشبع بالترقب والتوتر، لم تكن تلك المشاعر قاصرة على شخص بعينه، بل كانت تتناثر في الأجواء كما لو أن الجميع يحملون على عاتقهم عبء أسرار لم يُفصح عنها بعد.

جلس خالد في مكتبه، ينظر حوله، محاولًا استيعاب المشهد، فقد كان يدرك أن الوضع هنا أكثر تعقيدًا مما يبدو عليه الأشخاص، فليسوا مجرد زملاء عمل؛ بل شخصيات تحمل قصصًا غامضة ونوايا متباينة، فبدا وكأنه يسير على جسر رفيع قد يتهاوى في أي لحظة، حيث كل كلمة تُقال أو قرار يُتخذ قد يشعل فتيلًا لمشاكل خفية..

لم يمضِ وقت طويل حتى كُشفت أول خيوط الصراعات، حين جاءت السكرتيرة سارة وهي تحمل رسائل بريدية، وعلى وجهها ملامح تجمع بين القلق والفضول، وعندما فتح الرسائل وجدها مليئة بشكاوى قديمة وحديثة، كأنما كانت تلك الأوراق مرآة تعكس أعماق المظالم المتراكمة، فكل رسالة كانت تحمل تظلمًا خاصًّا،

وكل كاتب بـدا وكأنه يصرخ طالبًا للإنصـاف، حيث كانت إحدى الشكاوى من فهد محمد، رئيس فريق المبيعات الميدانية، الذي اشتكى مـن نقص الموارد والتأخير في الاسـتجابات مـن الإدارة العليا، وفي كلماته بعض من الإحباط يفيض بين السطور، كما لو أنه يطالب المدير صراحةً بدعمه قبل أن يصبح مجرد اسـم جديد في قائمة من سـبقوه.

من ناحية أخرى، جاءت رسـالة علي يوسـف، مسؤول المبيعات الداخلية، لتُبرز خللًا في التنسـيق بين الفرق، وقـرارات تُتخذ بعيدًا عـن الواقع؛ فقرر خالـد التحرك سريعًـا وعقد اجتماعًا مع رؤسـاء الفرق لمناقشة تلك القضايا، فاجتمعوا في قاعة الاجتماعات.

كان الجو مشـحونًا بالحـذر، وكان التوتر يملأ الأرجاء، والعيون ترقـب كل حركـة أو كلمة وكأنها تبحث عن إشـارات تحدد ملامح المرحلة المقبلة..

بدأ خالـد الحديث، متجنبًا فرض آرائه أو اتخاذ مواقف حاسـمة فورًا، فركز على أهمية التعاون وبناء إدارة متماسـكة، وحين جاء دور فهـد محمـد للتحدث، عبّر عـن اسـتيائه بوضوح فقال بثقـة: «نحن نعمل بجهد، لكن صوتنا لم يصل إلى الإدارة من قبلُ، فنحن بحاجة إلى الدعـم الحقيقـي لتحقيـق أهدافنـا». كانت كلماته تحمـل إحباطًا متراكمًا، لكن خالـدًا فضل تركه يكمل حديثه، ثم أعرب عن تفهُّمه ووعَده بالتحرك..

أما مريم حسـن، فكانت أكثر تحفظًا؛ فلقد تحدثت عن صعوبات

في تنفيذ خطط التسويق، وكانت كلماتها مدروسة بعناية، تخشى أن تُفهم بشكل خاطئ، وبالرغم من ذلك، كان من الواضح أنها تحمل همومًا أكبر مما تفصح عنه، ربما خوفًا من عواقب البوح.

وبعد الاجتماع، التقى خالد بسلمان عبد الله في مكتبه، بدا سلمان متحمسًا، يطرح أفكاره بحماسة عن خطط مبتكرة لزيادة ولاء العملاء، ولكنه لاحظ أن طموح سلمان قد يدفعه لاتخاذ قرارات غير مدروسة؛ ما قد يعرض الإدارة للمخاطر، فتحدث إليه بصراحة قائلًا: «أفكارك جيدة، لكن نحتاج إلى دراسة دقيقة لكل خطوة، فالطموح بلا توازن قد يؤدي إلى نتائج غير محسوبة». بدا سلمان متفكرًا، وكأنه يعيد النظر في أسلوبه.

في نهاية اليوم، جلس خالد وحيدًا، يتأمل تفاصيل الأحداث، فتساءل في نفسه: هل كان حديثه كافيًا؟ هل تمكن من ترك انطباع إيجابي يوحي بأنه قائد يستمع ويتفهم؟ وهل يمكنه حقًّا تغيير الوضع وإعادة بناء الثقة؟

وفي وسط أفكاره المتشابكة، دخلت سارة تحمل كوبًا من الشاي، ثم وضعت الكوب أمامه وقالت بابتسامة هادئة: «أحيانًا، يكون الاستماع هو أقوى أداة للإدارة». كانت كلماتها بسيطة، لكنها حملت حكمة عميقة، فأدرك أن رحلته في هذا المكان ليست مجرد قرارات أو اجتماعات؛ بل هي معركة لإعادة بناء الجسور مع فريقه، وفهم كل فرد بعمق قبل اتخاذ أي خطوة.

في أسواق التوتر والخفايا

في كل بيئة عمل، كما في الحياة، تختبئ خلف الظواهر الهادئة أمواجٌ من التوتر والصراعات، فالقيادة الحقيقية ليست فقط في قراءة الأرقام، ولكن في قراءة النفوس، فكل خطوة تُخطئ في تفسيرها قد تكون حبلًا يشد العقدة، أو يدًا تُحلُّ بها، ومَن يفهم هذه القواعد يدرك أن النجاح لا يُبنى فوق ركام العلاقات المتصدعة، بل فوق أساسات الثقة والوضوح.

كان خالد يدرك منذ أن وطئت قدماه هذا المكتب أن أجواء العمل هنا ليست كغيرها، إذ كان المكان مشبعًا بالتوتر الخفي، وكأن الجميع يتنفسون القلق بانتظار شيء مجهول. فقد شبه خالد ذلك الشعور بأسواق قديمة في أحد أحياء المدن التاريخية؛ ممرات ضيقة، أصوات همسات متداخلة، وحركة دائمة تحمل الكثير من الأسرار، فمنذ توليه هذا المنصب كان يرى أمامه مشاهد متداخلة من الطموحات المتصارعة، والتحالفات التي تُنسج في الخفاء، ومع ذلك فقد قرر أن يكون ثابتًا وألا ينخدع بالمظاهر، وأن يستخدم صبره وحدسه للتعامل مع هذه الأجواء المشحونة.

في هـذا اليـوم، بدأ خالد اجتماعه الأول مع فهـد محمد، الذي بدا أكثر توترًا من المعتاد، إذ جلس أمامه، وعيناه تحملان مزيجًا من القلق والتردد، ثم قال بصوت منخفض:

«أسـتاذ خالـد، الأمـور في المـوارد ليسـت على مـا يـرام، وفرق المبيعات بحاجة إلى دعم إضافي لتحقيق أهدافنا». وهنا لاحظ خالد أن طلب فهد لم يكن مجرد مسألة لوجستية؛ بل كان هناك شيء أعمق خلف هذه الكلمات، فصمت للحظة قبل أن يرد بهدوء:

«أفهـم ما تقوله يا فهـد، لكن أحتاج إلى تفاصيـل دقيقة عن نوع الموارد التي تحتاج إليها، وكيف ستنعكس على أداء الفريق».

فرأى في نبرة فهد نوعًا من الاضطراب، وكأن التوازن الذي اعتمد عليه بدأ يتغير، فكان واضحًا أن هناك صراعات خفية تلوح في الأفق، وربـما كانت بـين فهد وأحد زملائـه. وبعد انتهـاء الاجتماع، عادت الأجواء المشـحونة إلى مكتب خالد عندما دخلت سـارة، سكرتيرته ومسـاعدته الموثـوق بهـا، وقد بـدا على وجههـا القلق وهـي تقول:

«أسـتاذ خالد، هنـاك أحاديث بين الموظفين عن مسـاعدات غير معلنـة قُدمت لبعـض أعضاء الفريـق». كانت كلماتها تحمـل تحذيرًا خفيًّا؛ ما دفع خالد للتفكير في وجود شـبكة من المصالح المتشـابكة، فأدرك أنه بحاجة إلى كشف الحقيقة، لكن دون إثارة الريبة..

فقرر أن يُكمل اجتماعاته، ولكن هذه المرة، ذهب خالد إلى مكتب عبد الله سلمان ليلتقي به، فجلسا يتبادلان أطراف الحديث عن العمل، وقد بدا علي سلمان الحماس الزائد حيث قدم فكرة جديدة بفخر قائلًا:

«سيدي، لدي خطة لزيادة ولاء العملاء، أومن بأنها ستكون نقلة نوعية للفريق». ورغم إعجاب خالد بطموح سلمان، شعر بأن اندفاعه قد يأتي بنتائج غير محسوبة، فقال له بنبرة هادئة:

«أعجبني حماسك يا سلمان، لكن تأكد أن كل فكرة تحتاج إلى دراسة وافية، فنحن هنا نبني إستراتيجيات مستدامة، لا نجاحات مؤقتة».

ثم أنهى اجتماعه معه بعبارات بث الأمل في نفسهِ، وقرر أن يعود إلى مكتبه، وفي طريقه إلى مكتبه، التقى بعلي يوسف، الذي بدا منزويًا وكأنه يحمل همًّا كبيرًا، فتوقف وسأله:

«هل هناك شيء تريد مشاركتي به يا علي؟».

رد عليٌّ بصوت خافت:

«الأمور ليست كما تبدو يا أستاذ خالد، فهناك تفاصيل لا يمكنني البوح بها الآن، لكنني أعتقد أن الأمور قد تتصاعد قريبًا».

كانت كلمات عليٍّ تحمل تلميحات إلى صراعات أكبر تجري خلف الكواليس؛ ما جعل خالد يتأكد من أن الموقف بحاجة إلى متابعة دقيقة.

ومع مرور الأيام، لاحظ خالد تحالفات خفية تتشكل بين بعض الموظفين، كأنهم يبنون شبكات صغيرة لمصالحهم الشخصية، وقد رأى في ذلك خطرًا يهدد استقرار الفريق، لكنه أدرك أن اتخاذ القرارات الخاطئة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة.

وفي أحد الأيام، جاءت سارة بخطوات واثقة وقالت بنبرة جادة مليئة بالحرص:

»أستاذ خالد، أعتقد أن هناك من يحاول زعزعة الأجواء بين الفريق. ربما تحتاج إلى متابعة الأمور عن قرب؛ لضمان استمرار التناغم والعمل بروح واحدة".

كانت سارة معروفة بمصداقيتها وحرصها الشديد على مصلحة الفريق، لذا كان حديثها نابعًا من إخلاصها ورغبتها في حماية بيئة العمل من أي تأثيرات سلبية.

استمع خالد إلى كلماتها بتمعن، مُدركًا أن الأيام المقبلة ستتطلب منه يقظة وحكمة في التعامل. قرر التصرف بحزم واتزان، مؤمنًا بأن التحديات، مهما كانت صعوبتها، يمكن التغلب عليها بالتواصل الفعّال والقيادة الواعية.

شِباك الفتن

كان الصباح يلف الشركة بهدوءٍ مُصطنع، كأنما الجدران تخبئ خلفها أصواتًا مكتومة لا تريد لأحدٍ أن يسمعها، ففي زاوية بعيدة عن الأنظار، وقف همام سلامة، ذلك الرجل الذي لا يتوقف عن الحكايات، ولكنه ليس راويًا بريئًا بل كان يتكئ على مكتبه، يراقب مَن حوله بنظرات تتسلل إلى القلوب وتزرع فيها شكوكًا كأنها أشواك صغيرة لا تُرى.

«هل لاحظت كيف يتصرف فلان؟». قال همام بصوت خافت، كأنه ينسج شبكة من الكلمات لإيقاع ضحيته، ولكن خالد كان يتابع حديثه ببرود، مدركًا ما يريده، لم يكن همام سوى صيادٍ ماهر، لكنه لا يصطاد إلا بالفتن، نظر خالد إليه بهدوءٍ وقال: «ربما علينا التركيز أكثر على العمل، فهو أفضل طريقة لفهم الآخرين». كانت كلمات خالد كالسهم الذي أخطأ هدفه في تلك اللحظة، لكنه جعل همام يُدرك أنه ليس فريسته السهلة.

مرت الأيام وهمام لا يتوقف حيث كان كالنار في الهشيم، يحاول أن يشعل الشكوك بين الزملاء، لكنه لم يدرك أن النيران التي يشعلها

قد تحرقه أولًا؛ ففي أحد الأيام، ذهبت إحدى الموظفات -كانت تدعى سعاد- إلى مكتب خالد مدير المبيعات، فهي موظفة مخلصة في العمل، وكان وجهها يحمل علامات القلق حين قالت: «سمعتُ شيئًا عنك يا أستاذ خالد، همام قال إن إشادتك بعملي كانت مجرد تملق!».

فابتسم خالد بحنانٍ وقال: «يا سعاد، الكلمات كالرياح، تهب وتمضي، فلا تسمحي لها أن تؤثر فيكِ، فعملكِ وجهدكِ هما الحقيقة الوحيدة». فهدأت كلماتها قليلًا، لكنه كان يعلم أن همام لن يتوقف بسهولة؛ ففي إحدى المرات، وصلته شائعة أخرى من ذلك زارع الفتن، تقول إن مكتبًا في الشركة يحمل «نحسًا» لأنه شهد حادثة وفاة قديمة، فجاء أحد الموظفين طالبًا نقله، فقال له خالد بابتسامة هادئة: «المكان لا يصنع الحظ، نحن من نصنعه، فهذا المكتب قد يكون بوابتك للنجاح إذا أردت ذلك».

كان التحدي الحقيقي ليس في مواجهة همام فحسب، بل في حماية روح الفريق من شروره، حيث بدأ خالد يتحدث مع الزملاء بلطف، من دون أن يوجه اتهامات مباشرة، فقال لهم: «الثقة هي العمود الفقري لأي نجاح، فدعوا أفعالكم تتحدث بدلًا من أن تُصغوا لكل ما يُقال».

وبمرور الوقت، بدأ تأثير همام يتلاشى؛ فلم يعد يجد من يستمع إليه، وكأن صوته أصبح جزءًا من ضجيج الخلفية الذي لا يؤثر في

أحد. ومع ذلك، لم يكن الأمر سـهلًا، بل كان خالد يشـعر في بعض اللحظـات بـأن محاولاته قد تزعـزع وحدة الفريق، لكـن بالإصرار والحكمة تمكّن هو وفريقه من تجاوز العاصفة.

كان درسًا قويًّا قد تعلمه الجميع: الفتن كالأمواج، قد تبدو قوية، لكنهـا تفقـد زخمها حـين تصطدم بصخـور الثقة والحكمـة، فهمام لم يتغـير، لكنـه أصبح كمن يـصرخ في فراغٍ لا صدى فيه، بينما اسـتمر الفريق في السير نحو أهدافه بثبات.

همسات الماضي وأصداء المستقبل

يمر اليوم ببطء على الشاطئ، كأنه يعكس هدوء البحر الأزرق الممتد بلونٍ ينعكس عليه ضوء الشمس المتناثر بين الغيمات المتفرقة، حيث كان هذا هو الوقت الذي قرر فيه خالد أن يتوقف عن الانشغال، وأن يخصصه لعائلته الصغيرة، بعد أن غلبته مشاغل العمل والحياة اليومية عنهم، فلم تكن فاطمة، زوجته، تشتكي، لكنها كانت تعرف كيف تخفي انزعاجها بابتسامة خفيفة، لكنه كان يراها في عينيها عندما كان يعود متأخرًا عن مواعيده المعتادة، فكان يعرف أن أسرته تستحق أكثر من ذلك، ولذلك قرر أن يكون معهم اليوم على هذا الشاطئ، حيث يلتقي البحر بالسماء، وتلتقي الأحلام بالماضي.

وفي جلسة هادئة على طاولة صغيرة بالقرب من البحر، كانت العائلة قد بدأت تتناول الطعام، وكان أحمد، ابنه البكر، الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، يستمتع بصوته العذب وهو يتحدث عن طموحاته المستقبلية، وفي تلك اللحظة، قرر أن يطرح على والده سؤالًا كان يراوده منذ فترة: «أخبرني عن طفولتك يا أبي، ماذا كانت حياتك في الماضي؟ أخبرنا عن جدتي وجدي، وعن أيامك القديمة».

فابتسم خالد وهو يرفع نظره إلى البحر، وتذكر أيامًا مضت وكأنها كانت بالأمس، فكانت هناك لحظات محفورة في ذاكرته لا يمكن له أن ينساها، إذ كانت عائلته البسيطة، التي تضم سبعة إخوة من الأولاد والبنات، تناضل من أجل الحياة، بينما كان الحب والتفاؤل يغمران كل زاوية من منزلهم، فأجابه مُبتسمًا:

«كان جدي، رحمه الله، رجلًا بسيطًا، لكنه حكيم، عُرف بحكمته وسط قريتنا الصغيرة، وقد ورثت منه أمي تلك الحكمة والروح الطيبة والصبر والكفاح، فكانت تبيع البهارات في السوق، وكان الجميع يعرفها بحسن تعاملها مع الزبائن، وطبيعتها الودودة، وكان والدي يعمل في شركة النفط، لكن الحياة لم تكن دائمًا سهلة، بل كانت مليئة بالتحديات، ومع ذلك، كنا نعيش في سعادة رغم كل شيء». ثم أكمل خالد حديثه، فكان يروي لأحمد ولليلى، اللذين كانا يستمعان إليه بشغف:

«كانت طفولتي مليئة بالتحديات والذكريات التي لا تُنسى، فكنا نعيش في منزل صغير جدًّا، في إحدى ضواحي المدينة التي تكتظ بالناس، وكان والدي -رغم قسوة العمل في شركة النفط- يحرص دائمًا على إرشادنا إلى أهمية العلم والعمل الجاد. ومع ذلك، كان قلبه مليئًا بالحب لأسرته، وكانت أمي التي تبيع البهارات في السوق، دائمًا رمزًا للصبر والإصرار، فكانت تقف وراء طاولة صغيرة، تحيط بها أكياس البهارات المختلفة، التي تفوح منها الروائح المميزة التي

كانت تغري المارة، فكانت تقدم نصائحها للبائعين والمشترين على حد سواء، ولا تمل من الحديث عن فوائد التوابل المختلفة، كانت تلك السنوات مليئة بالدروس التي شكلت شخصيتي، حيث تعلمت كيف يمكن للعزيمة أن تخلق فرصًا جديدة في ظل أصعب الظروف. وبدأت بيع الحلويات في الأسواق، حين كنت في المرحلة الابتدائية، فكانت أمي تملأ سلالًا صغيرة بالحلويات التي تُعدها في المنزل وترافقني أثناء جولاتي في السوق، فكنت أستمتع بذلك النشاط كثيرًا، حيث تعلمت كيفية التعامل مع الزبائن، وكيفية التفاوض، وأيضًا كيفية تسويق المنتجات.

وفي يوم من الأيام، بينما كنت أبيع الحلويات في السوق، استوقفني رجل مسنٌّ كان يحمل حقيبته المليئة بالبهارات: «أنت شاب طيب، لابد أن لديك طموحات كبيرة، فهل تعلم أن التجارة لا تقتصر فقط على بيع المنتجات؟! بل هي أيضًا بناء علاقات، وبناء سمعة طيبة».

تلك الكلمات كانت بمثابة إشراقة في حياتي، وفيما بعد، دخلت مجال بيع البرامج التي اشتريتها من السعودية، وتجارة الأريلات للتلفزيون. ومع مرور الوقت، بدأت أحقق نجاحًا متواضعًا، ولكنني لم أكن راضيًا تمامًا، فكنت دائمًا أبحث عن شيء أكبر..

ومع اقتراب تخرجي من الجامعة، بدأت أفكر في الحياة بعد الدراسة، كانت لدي رغبة شديدة في أن أكون شخصًا ذا تأثير في المجتمع، لا

مجرد فرد يحقق رزقه، وبدأت أفكر في كيفية استخدام مهاراتي التجارية في خدمة المجتمع، وأيضًا بدأت أشارك في أنشطة تطوعية مع بعض المؤسسات الخيرية، فكان ذلك بالنسبة لي أكثر من مجرد عمل تطوعي، بل كان فرصة لتوسيع آفاقي والاطلاع على عالم جديد تمامًا».

فبادر أحمد، الذي كان يستمع إلى حديثه، قائلًا: «إذن، وكيف أصبحت مُديرًا ورجل الأعمال الذي أنت عليه اليوم؟».

فأجابه أبوه الذي كان فخورًا بسؤال ابنه قبل أن يكون فخورًا بالحديث عن نفسه، وكأنه شعر برغبة ابنه في اتخاذه قدوة له والسير على نفس دربه:

«رحلتي لم تكن سهلة، كما أن الطريق كان مليئًا بالتحديات؛ لكنني كنت أومن دائمًا بأن العمل الجاد يمكن أن يفتح الأبواب المغلقة، وربما كانت البداية متواضعة، لكنني كنت دائمًا أسعى لتطوير نفسي، فعندما قررت أن أبدأ مشروعي الخاص، كان لدي حلم أن أكون شخصًا مؤثرًا في مجتمعي».

ثم أضاف: «الآن، وبعد مرور كل هذه السنوات، أفهم معنى النجاح بشكل مختلف، فالنجاح ليس مجرد المال أو الشهرة، بل هو تأثيرك في الآخرين، وكيف يمكن لعملك أن يساعد في تحسين حياة من حولك».

بدأ خالـد يراقب عيون أولاده، وهما يسـتمعان بإصغاء شـديد، كانـت هـذه اللحظـة، بـكل بسـاطتها، تمثـل في ذهنه أكثـر من مجرد جلسـة على شـاطئ البحر، بل كانـت لحظة لتعليـم أولاده كيف أن الحياة ليسـت مجرد هدف بعيد، بل هي رحلة تبدأ بخطوات صغيرة، ولكنها مليئة بالتعلم والنمو.

انتهى حديثه، ولكنه شعر بأن رحلته لم تنتهِ بعد، بل إنها بدأت من جديد مع أولاده، الذين سـيحملون الحلم معـه. وفي تلك اللحظة، تذكر خالد الأيام التي قضاها في السوق وهو يبيع الحلويات مع أمه، وكيف كانت كلماتها تملأ حياته بالحكمة البسيطة التي جعلته يرى في كل شيء فرصـة للنمـو؟! حيث كانـت أمه دائمًا تقول لـه: «النجاح ليـس في قدرتك على جمع المال فقط، بل في القيمة التي تضيفها لحياة الآخرين، وفي قدرتك على الاسـتمرار مهما كانت الظروف». كانت تلـك الكلمات عميقـة، ومهما كبر خالد في العمر، فسـتظل تشـع في ذهنه مثل شعاع ضوء في الظلام.

توقفـوا عن الحديث قليـلًا، حيث كانت العائلة تسـتمتع بالبحر والجلسـة الهادئة، فكانـت فاطمة تراقبهم بابتسـامة خفيفـة، وكأنها كانت تشاركهم اللحظة من دون أن تتكلم، فخالد يعلم جيدًا كيف أن حياتـه قد مرت بتقلبات عديـدة، وأن فاطمة كانت دائمًا من تدير الأمور في المنزل، وتُوازِن بين متطلبات الحياة والعمل، ولكنها كانت دائمًا سندًا له في كل الأوقات.

وبينما كان خالد يسترجع ذكرياته، بدأ أحمد يتحدث عن طموحاته المستقبلية؛ كان يبدو جادًّا أكثر من أي وقت مضى، وكأنه قد قرر أن يسلك طريقًا مختلفًا عن الذي سلكه أبوه في شبابه، ولكن بنفس روحه التي تحب التحدي والتي واجهت الصعاب، فقال: «أريد أن أكون مهندسًا في مجال الطاقة المتجددة يا أبي، فأريد أن أساهم في الحفاظ على البيئة، وأن أطور تقنيات جديدة تساعد في توفير الطاقة للأجيال القادمة».

كان خالد يراقب أحمد وهو يتحدث بحماسة، وكان ذلك يعكس له شيئًا من نفسه في شبابه، إذ كانت أحلامه مشابهة لتلك الأحلام التي يحملها ابنه الآن، لكنها كانت متعلقة بعالم التجارة والمال، فأدرك في هذه اللحظة أن كل جيل لديه أسبابه الخاصة التي تدفعه للسعي وراء النجاح، ثم قال له:

«أنت تسعى لتحقيق شيء عظيم يا أحمد؛ إن النجاح لا يأتي بسهولة، لكنه يأتي عندما تكون لديك رؤية واضحة». وأدرك أنه كان يقدم له نصيحة كان يتمنى لو تلقاها في شبابه.

انطفأ ضوء الشمس شيئًا فشيئًا، وبدأ المساء ينسحب برقة من البحر، ليحل محله الظلام الذي يزين السماء بالنجوم، فكان الجو باردًا بعض الشيء، لكنهم جميعًا استمتعوا بمشاعر الألفة والهدوء التي تغلف المكان، فكان الشاطئ هادئًا، وكأن البحر نفسه يشاركهم

هـذا الهـدوء الداخلي الذي قد شـعروا به جميعًا، ثم سـأل أحمد فجأة وهو يستند إلى ذراع أبيه على الطاولة:

«هـل تتذكـر يا أبي، كيف كنـت دائمًا تطلب من جـدي أن يحكي لـك القصـص عن المـاضي؟». فكانت تلـك اللحظة بالنسـبة لخالد مليئـة بالذكريـات؛ تلـك القصص، التـي كانت ترويهـا جدتي، عن الأيام القديمة، أكثر من مجرد حكايات عابرة، كانت تمنحنا إحساسًا بالجـذور، والاتصـال بالعائلة والـتراث، حيث تذكـرت كيف كان جـدي، الرجـل القوي الطيـب، يقص علينا قصـص حياته، وكيف كان دائمًا يحمل درسًا في كل حادثة.

«نعـم، كان جدي يحـب أن يحكي لنا عن الأيـام الصعبة التي مر بهـا، فكان يروي لنا كيف اسـتطاع أن يتغلب عـلى الظروف الصعبة التـي كانـت تحيط به، كان دائمًا يقول لنا: (من لا يسـتطيع أن يحارب في الصعـاب، لـن يكون له مـكان في النجاح)». أجبت وأنا أبتسـم، وكأنني أرى صورة جدي أمامي وهو يروي تلك الحكايات.

كانـت فاطمـة تراقبنـا، وفي عينيهـا شيء من الارتيـاح الذي بدأ يظهـر مع مـرور الوقـت، فهي تعلم أن هـذا اليوم على الشـاطئ قد أصبح بالنسبة لنا أكثر من مجرد نزهة، بل كان فرصة لإعادة التواصل والربـط بـين أفـراد العائلـة، فكانت تلـك اللحظـة تخلـق نوعًا من الحميمية التي يحتاج إليها الإنسان بين الحين والآخر في خضم الحياة.

وأثناء جلستنا، جاء أحد الرجال الذين يعملون في المطعم ليحضر لنا الشاي.. كان يبدو عليه أنه في الأربعينيات من عمره، وابتسم بلطف وهو يقدم لنا الأكواب فقال: «الشاي بالنعناع، أرجو أن يعجبكم».

لم يكن الشاي مجرد مشروب بالنسبة إلينا، بل كان طقسًا نمارسه كلما أردنا التحدث والتواصل. كان يحمل في طياته لحظات هادئة، مليئة بالذكريات، فشربت كوبًا من الشاي، وأخذت نفسًا عميقًا، وكأنني كنت أستمتع بمذاق الحياة نفسها.

«هل تذكرين، يا فاطمة، المرة الأولى التي التقينا فيها؟». قلت، محاولًا أن أبعث في قلب زوجتي شعورًا بالحب والتقدير. كانت فاطمة تستمع إليّ وهي تمسك بكوب الشاي بين يديها، وعيناها تحملان الإحساس نفسه الذي كانت تملؤه تلك اللحظات البسيطة.

«نعم، بالطبع، كانت لحظة مميزة بالنسبة لي، فقد كنت في ذلك الوقت فتاة صغيرة، ولم أكن أظن أنني سألتقي بشخص سيغير حياتي إلى الأبد». قالت فاطمة بابتسامة صغيرة، ثم أضافت: «لكننا معًا، استطعنا أن نبني حياة جميلة رغم كل الصعوبات».

كانت هذه الكلمات بالنسبة لخالد أكثر من مجرد حديث عابر، كانت تحمل في طياتها الأمل والتحدي؛ فاطمة كانت دائمًا السند الذي لا يتزعزع في حياته، وكان لها دور كبير في بناء تلك الحياة التي يعيشها الآن.

وبينما كانت الأمواج تتلاطم برفق على الشاطئ، أدرك خالد أن ما يعيشه من لحظات في حياته قد يبدو بسيطًا، لكنه يحمل في طياته دروسًا عظيمة، فكانت هذه اللحظة التي جمعته مع فاطمة وأولاده هي اللحظة التي كانت تذكره بأن الحياة ليست دائمًا في العمل أو في السعي وراء المال، بل هي في تلك اللحظات الصغيرة التي نصنعها مع من نحب.

أما بالنسبة لخالد، فقد كان يعلم أن الطريق أمامه لا يزال طويلًا، حيث كانت حياته مليئة بالأحلام والطموحات، لكنه أدرك أن الأهم من تحقيق تلك الطموحات هو الحفاظ على تلك اللحظات العائلية، تلك اللحظات التي هي بمثابة أساس لحياتهم، وقد عاهد نفسه بأن يظل يعمل جاهدًا ليحقق أحلامه، لكنه سيظل أيضًا يحتفظ بتلك اللحظات التي تجعل حياتهم مليئة بالحب والترابط.

أسرار الإدارة في اختبار الثقة

إن الثقـة في عـالم الإدارة كزهرة نـادرة، لا تزهر إلا في تربة الصبر ورياح الحكمة، فهي خيطٌ رفيع يربط القلوب والعقول، ومن يخفق في نسـجه يجد نفسـه محاصرًا بصراعات الظلال وهمسات الشكوك، فـالإدارة ليسـت مجرد قرارات تُتخذ خلف المكاتـب المغلقة، بل هي فن قراءة النفوس، وبناء جسور الثقة وسط أمواج التحديات.

بدأ الأسبوع الثاني بمزيج من الحماسة والحذر، حيث كان الهدف الرئيسي الذي وضعه خالد نصب عينيه هو كسب ثقة الفريق بحذر، إلى جانب محاولة فهم الجذور العميقة للمشكلات التي تراكمت عبر السـنوات، فقد أدرك أنه لا يمكن بناء الثقة في بيئة تفتقر إلى السرية، حيـث تنتقل الكلـمات والأسرار بسرعة البرق، فقـرر خالد أن يغيّر أسـلوبه المعتاد؛ فبدلًا من الاكتفاء بالاجتماعات الرسمية التي تأخذ طابعًـا تقليديًّـا وصيغـة متكـررة، اختـار أن ينخرط مبـاشرة في بيئة العمـل اليومية، إذ أراد رؤية الجميـع في لحظاتهم الحقيقية، بعيدًا عن الرسـائل المدروسـة والخطابات الرسـمية.. كـما فعل مُسـبقًا عندما ذهب إلى مكتب خالد سلمان.

فبدأ جولته بمكتب علي يوسف، الذي كان مكتبه يعكس شخصيته بدقة، فالمكتب كان مرتبًا من دون صرامة، وكأن النظام فيه مجرد وسيلة عملية، فدخل بهدوء ليجده منكبًا على إعداد تقرير، عيناه مثبتتان على الأرقام، ويداه تتحركان بثبات على لوحة المفاتيح، فقال في هدوء: «صباح الخير يا علي».

رفع عليٌّ رأسه بابتسامة خفيفة تحمل مزيجًا من الحذر والمهنية، ثم وقف احترامًا: «صباح النور، سيد خالد، تفضل، كيف يمكنني مساعدتك اليوم؟».

فأجاب خالد بنبرة ودودة: «لا شيء محدد، أردت فقط أن أتعرف عليك وعلى فريقك عن قرب، هيا أخبرني، ما أبرز التحديات التي تواجهكم هنا؟».

بدأ عليٌّ الحديث بوضوح ومنهجية، مشيرًا إلى صعوبة التنسيق بين فريقه وفريق المبيعات الميدانية. كان حديثه دقيقًا لكنه يفتقر إلى التفاصيل العميقة، وكأن هناك أمورًا لم يكن يرغب في كشفها، فشعر خالد بحاجز خفي من الحذر بينهما، لكنه قرر أن يترك الأمور تسير بسلاسة من دون ضغط.

وهمَّ بالرحيل بعد أن أعطاه بعض النصائح التي تفيده في عمله وفي علاقته بباقي الفريق.

انتقل خالد بعد ذلك إلى مكتب مريم، مديرة التسويق الرقمي، حيث وجد المكتب يعكس شخصيتها الدقيقة والمنظمة، فكل شيء كان في مكانه، وكأن التفاصيل الصغيرة تمثل جزءًا أساسيًّا من عملها، ثم قال لها مُبتسمًا:

«مرحبًا يا مريم، يبدو أن لديك عالمًا خاصًّا هنا».

ابتسمت مريم برقة، وأشارت إلى كرسي بجانب مكتبها وقالت: «مرحبًا بك، سيد خالد، تفضل استرح».

بدأ خالد حديثه معها عن الحملات التسويقية التي تعمل عليها، وكان النقاش مليئًا بالأفكار الإبداعية، لكنه لاحظ حذرها الواضح في الحديث عن بعض التفاصيل والخطط، فعندما سألها: «هل هناك شيء يقلقك؟». ترددت للحظة قبل أن تجيب: «في بيئة كهذه، تعلمت أن أكون حذرة، فلا يمكنني دائمًا الوثوق بأن خططي ستبقى سرية».

فقال لها وهو يرحل من مكتبها، وكأنه أراد أن يُنهي زيارته القصيرة ويذهب إلى عمله داخل مكتبه: «أعلم أنكِ مجتهدة في عملك، وأننا سننجح جميعًا بفضل حرصك الشديد على إنجاز مهامك بدقة وحذر وسرية، فاعلمي أني دائمًا داعم لكل مجتهد». ثم ترك مكتبها ذاهبًا إلى مكتبه ليُنهي هو أيضًا عمله.

ولكن مع مرور الأيام، بدأت تفاصيل الاجتماعات المغلقة التي يعقدها خالد تظهر بين الموظفين، ففي اجتماع خاص مع فهد محمد،

رئيس فريق المبيعات الميدانية، ناقش خالد إستراتيجية حساسة جدًّا، ولكن بعد يومين، اكتشف أن سلمان عبد الله، مسؤول العلاقات مع العملاء، يتحدث عن تفاصيل ذلك الاجتماع مع فريقه، فكان الأمر صادمًا بالنسبة له، ثم توجه إلى سكرتيرته، سارة منصور، التي كانت تتمتع بقدرة فائقة على قراءة الأشخاص والمواقف فسألها: «سارة، يبدو أن هناك ثقوبًا في جدران هذه الإدارة، كيف يمكن للمعلومات أن تنتقل بهذه السرعة؟».

أجابته بابتسامة خفيفة: «هذا هو التحدي الأكبر هنا، سيد خالد، فالجميع يتحدث، لكن ليس دائمًا بنوايا سيئة، فيجب عليك أن تكون صبورًا».

فقرر خالد أن يضع خطة طويلة الأمد في نهاية الأسبوع لمعالجة هذه التحديات، وكانت الخطة كالتالي:

١. بناء الثقة تدريجيًّا: مراقبة الفريق والتعرف عليهم بشكل تدريجي.

٢. تعزيز التواصل الشخصي: الاستمرار في الجولات غير الرسمية لفهم الفريق بشكل أفضل.

٣. إدارة التسريبات بحذر: الحذر في مشاركة المعلومات الحساسة.

٤. إعطاء مساحة للعمل: السماح للفريق بالشعور بالحرية، من دون رقابة مفرطة.

٥. معالجة التظلمات بحكمة: البحث عن الأسباب الجذرية للمشكلات، بدلًا من الاكتفاء بعلاج الأعراض.

أصبح عمل خالد الآن بالشركة مليئًا بالتحديات والدروس حول القيادة الحذرة، إذ أدرك أن الطريق طويل، ولكنه كان مستعدًّا للسير فيه بوعي وصبر.

نحو إستراتيجية مُتكاملة

حين تجتمع العقول، تتأجج شرارات الإبداع، لكن تلك الشرارات قد تتحول أحيانًا إلى صراعات خفية لا يراها إلا القائد الحاذق، ففي صباح هادئ، جلس خالد في مكتبه محاطًا بتقارير الأداء التي جمعها خلال الأشهر الماضية، وبدأت ملامح القلق ترتسم على وجهه، فلم يكن الرجل من أولئك الذين يرضون بمجرد تحقيق النتائج، بل كان دائم البحث عن الكمال، مؤمنًا بأن الإدارة الفعالة تتطلب رؤية شاملة تُبنى على تحليل عميق للواقع، فشعر بضرورة إعادة تقييم الأداء، ليس فقط لتحسين الأرقام، بل لفهم التحديات التي تعترض الطريق وتحويلها إلى فرص.

كانت الأوراق مليئة بالأرقام، لكن ما كان يبحث عنه خالد لم يكن مجرد بيانات جافة، بل إشارات تُظهر نقاط القوة والضعف، فبعد قراءة متأنية، أدرك أن التحرك العشوائي والقرارات غير المخطط لها لن تصنع الفارق، فقرر أن يجمع فريقًا صغيرًا من الموظفين المميزين للمشاركة في صياغة إستراتيجية جديدة، واختار بعناية كل فرد في الفريق، مستعينًا بملاحظات سكرتيرته سارة التي

عرف عنها دقتها في تقييم الشخصيات، فوقع اختياره على سلمان عبد الله، مسؤول العلاقات مع العملاء، رجل يتميز بمنهجيته وتحليله الدقيق، وحسن علي، نائب رئيس فريق المبيعات، الذي لطالما أضفى لمسة إبداعية على أي مشروع يُشرف عليه. وبالرغم من اختلاف شخصياتهما، كان خالد على يقين بأن هذا التباين سيُثري النقاشات.

مع انعقاد الاجتماع الأول، كان واضحًا أن سلمان وحسن يمتلكان رؤيتين مختلفتين تمامًا، إذ قدم سلمان تقارير تحليلية دقيقة تستعرض كل جانب من جوانب الأداء، في حين أضاف حسن أفكارًا إبداعية تُثير النقاش وتجعل الأجواء نابضة بالحيوية. ومع ذلك، كانت هناك شرارة توتر خفية بدأت تظهر مع مرور الوقت، خصوصًا من جانب حسن، الذي بدا وكأنه يشعر بأن جهوده لا تُقدّر بالشكل الكافي.

ففي أحد الأيام، اقتحم حسن مكتب خالد بوجهٍ يكسوه الضيق، فقال بصوت منخفض لكنه مشحون بالغضب:

«أستاذ خالد، أعتقد أن مكاني لم يعد هنا.. أشعر أنني مجرد عنصر ثانوي في هذا الفريق».

فوجئ خالد بما قاله، لكنه لم يُظهر ذلك، فدعا حسن إلى الجلوس وبدأ يستمع له بهدوء، كان حسن يشعر بأن سلمان يأخذ الحصة الأكبر من التقدير، رغم أن أفكاره كانت السبب وراء الكثير من

النجاحـات التي حققها الفريق، هنا أدرك خالد أن الأمور تحتاج إلى تدخل فوري، لكن الحل لم يكن في الكلمات فقط، بل في إعادة توزيع الأدوار بطريقـة تمنح كل شـخص الفرصة للتألـق وبدقة وتأنٍّ، قرر خالد أن يُوكل إلى سـلمان مسؤولية إعداد التقارير وتحليل البيانات، بينما يمنح حسـن حريـة العمل عـلى تصميم إسـتراتيجيات مبتكرة لتعزيـز علاقات الشركـة مع العملاء، فهذا التغيير بدا بسـيطًا، لكنه كان له أثر كبير، فقد ازدهر سلمان في مجاله، بينما وجد حسن مساحة ليُظهر طاقاته الإبداعية بلا قيود.

الأسبوع التالي شهد تحولًا ملحوظًا؛ فقد بدأ الفريق يعمل بتناغم أكـبر، والأفـكار التـي كانت تبـدو متناقضـة أصبحـت الآن يُكمل بعضهـا بعضًا. وبعد عـدة اجتماعات مكثفة، نجـح خالد وفريقه في وضع إسـتراتيجية متكاملة، تُركّز على تحسـين سـير العمل، وتحليل الأداء بدقـة، وتطوير حملات تسـويقية مبتكـرة، وتعزيز التعاون بين أفراد الفريق.

أما بالنسـبة لخالـد، لم يكن هـذا الإنجاز مجرد خطـة مكتوبة على ورق، بل كان درسًـا عميقًـا في إدارة التحديات وتحويلها إلى فرص، فقـد فهـم أن التقدير المتـوازن بين أعضـاء الفريق ليـس رفاهية، بل ضرورة تضمـن اسـتمرار الحماس والإبـداع، وتعلم أيضًـا أن إدارة التنافـس بحكمـة يمكن أن تحوّل الغيرة إلى قـوة دافعة نحو التطور، وأن إعطـاء كل فرد مسـاحة للتعبير عن مهاراتـه يُنتج منظومة عمل

متناغمة وفعالة.

وبالرغـم مـن تلك الصعوبات التـي واجهها الفريـق في البداية، فقـد أثبتت التجربة أن القيـادة الحكيمة قادرة عـلى تجاوز الخلافات وبناء جسر من الثقة بين الأفراد، فكان خالد يعلم أن الطريق لا يزال طويلًا، لكن ما تحقق كان خطوة كبيرة نحو تحقيق النجاح الذي طالما سعى إليه.

رحلة بين الذكريات

في زحمة الأيام ودوامة العمل، يتوق الإنسان أحيانًا إلى لحظات هادئة، يستعيد فيها أملًا ضاع بين ضغوط الحياة، فرحلة خالد هذه المرة لم تكن نحو مكان بعيد، بل إلى ذاكرة قديمة تركت بصمتها العميقة في نفسه.

فدائمًا ما يبحث عن تلك اللحظات التي يستطيع فيها الهروب من صخب الحياة وضغوط العمل. وفي هذه المرة، قرر أن يلجأ إلى أحد الأشخاص الذين تركوا أثرًا لا يُمحى في حياته، فقد تلقى دعوة ودية من مديره الصيني السابق لقضاء يوم في استراحة بريّة خارج المدينة كانت كفيلة بأن تثير داخله الحنين إلى ذكريات ماضية شكلت جزءًا من شخصيته ومسيرته المهنية، فقرر أن يستجيب لها.

وفي اليوم التالي لم يذهب خالد إلى عمله، بل ذهب إلى استراحة ذلك الرجل الذي كان دومًا سبب في إسعاده..

وصل خالد إلى الاستراحة في ظهيرة يوم دافئ. كان المكان أشبه بجنة صغيرة محاطة بالأشجار، يمتزج فيها نقاء الهواء برائحة الطبيعة

التي تملأ الأفق، وفي وسط المزرعة، كانت شجرة ضخمة تنشر ظلالها على الأرض، حين استقبل المدير السابق خالدًا وجلس بجانبه أسفل تلك الشجرة، وكانت والدته هناك مشغولة بإعداد الشاي بأسلوب صيني تقليدي ينبض بالتفاصيل البسيطة.

بدأ الحوار بخفة يبحر بين العمل والحياة وقرارات الماضي، لكن سرعان ما انسابت الذكريات لتأخذ خالدًا إلى تلك اللحظة التي لا تُنسى؛ حفل وداع المدير في مطعم صغير يملؤه الدفء، فالمطعم كان مأوى هادئًا بعيدًا عن ضجيج المدينة، جدرانه مزينة بصور طبيعية، تنقل الروح إلى حقول خضراء وبحيرات ساكنة. وفي إحدى الزوايا، عزف هادئ على آلة تقليدية أضاف إلى المكان أجواء من الحنين والسكينة، وكانت طاولة الوداع مزينة بشموع صغيرة وبأزهار اللوتس البيضاء، وبدأ الحضور يتوافدون تباعًا، يحمل كل منهم هدية رمزية تعبر عن الامتنان.

وعندما دخل المدير، استقبلوه وقوفًا. كان يرتدي بدلة رمادية أنيقة وربطة عنق زرقاء تنسجم مع أجواء المناسبة، بمرافقة والدته، التي اختارت الجلوس في طاولة أخرى، كانت تتابع المشهد بابتسامة خفيفة تعكس فخرها واعتزازها بابنها، ووسط أطباق الطعام التي حملت معها قصصًا مختلفة، كان هناك درس خفي يتسلل بين التفاصيل؛ الاستمتاع بالحياة من خلال أبسط الأشياء، فكانت والدته، بحركاتها الرشيقة واختيارها الدقيق لكل لقمة، تجسد فلسفة

بسيطة لكنها عميقة، فلم يكن خالد يدرك آنذاك أن كل لقمة تحمل رسالة، وأن الاستمتاع بالطعام هو انعكاس لأسلوبنا في تقدير الحياة.

وبين الضحكات والمواقف التي أُعيد سردها في تلك الليلة، تذكر الجميع صعوبة الأيام الماضية، وروعة الإنجازات التي جمعتهم، حتى انتهى الحفل بكلمات مؤثرة من المدير، تحمل في طياتها امتنانًا ووعودًا بالبقاء على تواصل، واختُتم بكعكة كبيرة نقش عليها: «لن ننساك أبدًا».

عاد خالد من ذكرياته إلى الواقع حين وضعت والدة المدير كوبًا من الشاي أمامه، وقالت بابتسامة هادئة:

«الحياة مثل كوب الشاي هذا، إذا ملأته أكثر من اللازم فسينسكب، فحافظ على التوازن دائمًا».

في تلك اللحظة، شعر خالد بأن اللقاء لم يكن مجرد زيارة عادية، بل كان درسًا جديدًا في فهم الحياة، وبعد فترة من الوقت الذي لم يشعر أحد بمروره، غادر خالد الاستراحة وهو يشعر بخفة لم يعهدها من قبل، وكأن أعباءً قديمة قد تلاشت، فلم تكن الأم الصينية مجرد شخصية عابرة في حياته، بل كانت مرآة للحكمة والهدوء الذي يسعى إليه الجميع.

لم يكـن ذلك اليوم مجرد رحلة بين الذكريات، بل كان تأكيدًا على أن الحياة تسـتحق أن تُعاش بكل تفاصيلها، وأن اللحظات البسيطة قد تحمل أعظم الدروس.

ميزان العدالة المُهتز

مـع بداية العام الجديد، عادت الإدارة لتتحول إلى ميدان مزدحم يعج بالصراعـات والتحديات، فكان الوقت قد حـان لتقييم الأداء السـنوي، ذلك الطقس الذي ينتظره الجميع بترقبٍ يحمل بين طياته خليطًا من الآمال والمخاوف، فتَحْتَ سقف هذه المؤسسة، كان لكل موظـف قصـة، ولكل رئيس فريـقٍ طريقته التي تضـع الحكايات في مسار مختلف.

غلفـت الجوَّ هالةٌ مـن القلق، حيث وقـف الموظفون في صفوف غـير مرئيـة أمـام ميـزان لا يعلمون مدى دقتـه. تلـك الأوراق التي يملؤهـا الرؤسـاء المباشرون بتقييماتهم لم تكن مجـرد حروف وأرقام؛ بـل كانت تحمـل في طياتها أحلامًـا بالترقي، أو خيبات أمل تُرسـخ مكانة في الظل.

كان على خالد أن يراقب ذلك المشهد بعين المدير الحازم، لا بعين الإنسـان المرهف الذي يفهم عمق المشـاعر المحبوسـة بين السطور. لكنه أدرك منذ البداية أن المهمة ليسـت سـهلة، فهو يقف أمام جبل من المشكلات الخفية التي لا يكشفها إلا الضوء الساطع للتقييمات.

وما إن بدأت المراجعة حتى ظهرت التباينات بوضوح، كأنها شقوق في واجهة مثالية. بعض رؤساء الفرق غمروا تقاريرهم بالمجاملات والتقييمات المبهرة، وكأن كل فرد في فريقهم عبقريٌّ استثنائي، بينما اتخذ آخرون مسارًا مختلفًا، ملأوا تقاريرهم بنقدٍ لاذع وأوصافٍ تكاد تكون انتقامية، تعكس رغبات دفينة في تصفية الحسابات.

كان خالد يرى بوضوح أن المسألة لم تعد مجرد أرقام على ورق؛ بل أصبحت ساحة خفية لصراع النفوذ، حيث يستخدم البعض التقييمات لترسيخ هيمنتهم أو تصفية خصوماتهم. ورغم هذا، قرر خالد أن يمسك بزمام الأمور بحزم وعدل، ساعيًا لتحقيق إنصاف يليق بالمسؤولية التي يحملها على عاتقه.

جلس خالد بين التقارير متأملًا، كمن يقرأ صفحات كتاب غامض، يضع بين يديه مصائر الشخصيات، فكيف يمكن للإنصاف أن يجد طريقه وسط هذه الفوضى؟ كيف يمكنه الموازنة بين الصرامة التي تتطلبها العدالة، والحنكة التي تحتاج إليها القيادة؟ شعر للحظة بأنه يقف في محكمة بلا قاضٍ، والجميع ينتظر حكمه، سواء كانوا يعلمون بذلك أم لا، فكان لا بد من التدخل، حيث دعا خالد رؤساء الفرق إلى مكتبه، كلٌّ على حدة، كأنما يستدعيهم إلى جلسات استماع سرية، وبدأت الأسئلة تتوالى: لماذا اخترت هذا التقييم؟ علامَ بنيت حكمك؟ هل كان أداؤه فعليًّا بهذا السوء، أم أن هناك شيئًا آخر خلف تلك الكلمات؟

لم يكن الجميع متقبلًا لتدخل خالد، فالبعض رأى في ذلك تطاولًا على سلطته، وكأن خالد يسحب البساط من تحت أقدامهم، وآخرون حاولوا تبرير مبالغاتهم بأعذار واهية، لكنها لم تكن لتقف أمام صرامة العدالة التي كان خالد مصممًا على تطبيقها، حيث كان واضحًا وصارمًا، فقال مُستاءً: "التقييمات يجب أن تُبنى على الأداء، لا على العلاقات الشخصية، ولن أسمح بأي تلاعب في مصير الموظفين".

مع الأيام، بدأ الهمس ينتشر، حيث رأى بعضهم في قرارات خالد صرامة لا داعي لها، وآخرون تسلل إلى قلوبهم الغضب، خصوصًا أولئك الذين ظنوا أن تعديل التقييمات هو نوع من الظلم الشخصي، ولكن خالد كان يعلم أن الطريق إلى الإنصاف لا يخلو من الحفر، والانتقادات ليست سوى دليل على أنه يسير في الاتجاه الصحيح، أو هكذا كان يواسي نفسه كلما سمع همسات الاستياء في أروقة الإدارة. ووسط كل ذلك، برزت مشكلة جديدة لم يكن خالد يتوقعها؛ فقد أصبحت التقييمات، بدلًا من أن تكون وسيلة لتحفيز الفرق، أصبحت وقودًا لصراعات داخلية: فبعض الموظفين شعروا بالاستياء من التقييمات التي رأوا فيها تقليلًا من شأنهم، وآخرون، ممن حصلوا على تقييمات متميزة، بدأوا يشعرون بالتفوق ويتعاملون مع زملائهم بتعالٍ، وانقلب المشهد إلى ساحة تنافس غير صحي، وكأن خالدًا أصبح أمام معركة جديدة لم يستعد لها! كان عليه أن يتحرك بسرعة، فدعا الجميع إلى اجتماع موسّع، ووقف

أمامهم كمحارب يقف في وسط ساحة المعركة محاولًا تهدئة الجيوش المتناحرة، ثم تحدث بصوت هادئ لكنه حازم، فأوضح الأسس التي بنيت عليها التقييمات، وكيف أن العدالة كانت المحرك الأول لكل قرار اتخذه، وحاول أن يزيل الغموض الذي أحاط بالمشهد، ويفتح لهم نافذة على نواياه الحقيقية.

لكنه أدرك أن الكلام وحده لن يكون كافيًا، فبدأ يبحث عن حلول عملية تعيد التوازن إلى بيئة العمل، فقد أطلق خالد مبادرات جماعية تهدف إلى تعزيز روح التعاون بين الفرق، وشجع على العمل المشترك في المشاريع الكبرى، وكأنه أراد أن يذيب الجليد الذي بدأ يتراكم بين الموظفين، وأن يبني جسورًا جديدة بين من أفسدتهم المنافسة.

لم يكن خالد غافلًا عن أولئك الذين حاولوا استغلال التوتر لإثارة الفوضى، فقد كان حازمًا في التعامل معهم، أوضح أنه لن يسمح لأي شخص بتخريب بيئة العمل أو زعزعة الثقة بين الزملاء، فكان عليه أن يكون القائد الذي يرونه قويًّا بما يكفي لحماية النظام الذي يسعى لبنائه.

ومع مرور الوقت، بدأ خالد يرى بريقًا من الأمل، فقد بدأت العلاقات بين الفرق تتحسن، وشيئًا فشيئًا، بدأ الموظفون يتفهمون أن الإنصاف هو الأساس لكل شيء، ولكن خالدًا يعلم أن الطريق لا يزال طويلًا، وأن بناء ثقافة جديدة يتطلب صبرًا ومثابرة.

وفي تلك الليالي الطويلة التي كان يقضيها خالد وحيدًا في مكتبه، بين أكـوام التقاريـر وأوراق التقييمات، كان يتأمل المشـهد ككل، إذ كان يعلـم أنه ليس فقط يُدير صراعات، بـل يكتب فصلًا جديدًا في قصـة هـذه الإدارة، فصلًا عن الإنصاف والعدالـة، عن الصراعات التي تصنع القادة، وعن الدروس التي لا تُنسى.

بناء الثقة وكسب الولاء

في ذلـك الصباح الهـادئ الذي يحمل بين طياتـه عبق تحدٍّ جديد، كان خالد يعلم أن الخطوة القادمة ستكون حاسـمة، فنظر حوله إلى الفريـق الذي اجتمع على غـير العادة، حيث كان الكل مستغرقًا في قراءة تقاريرهم أو التظاهر بالعمل، والصمت الذي خيم على الغرفة كان بمثابة علامة على انتظار غير مُعلن، وكأن كل واحد منهم يترقب الخطوة التالية التي ستحدد مسـار هذا اليوم، فلم يكن الأمر سهلًا، فالفريق الذي تولاه خالد لم يكن سوى بقايا فريق مجهد بالصراعات الداخلية والانقسـامات التي تغلغلت في أوصاله، ولكنه كان يعرف جيـدًا أن بنـاء الثقـة بين هؤلاء الأشـخاص لن يكون مهمة سـهلة، فالثقة لا تُبنى بين عشـية وضحاهـا، وقد بدأ اليوم مع بداية جديدة، فلـم يكن لديه وقت طويـل للتخبط في أفكاره، فقـد كان مدركًا أن الطريق إلى التغيير يبدأ من الآن.

بدأ خالد بالكلمات التي حاول أن تكون بسيطة، لكنها تحمل من المعاني ما لا يستطيع الإنسان تجاهله:

«أعلم أن الفترات السابقة لم تكن سهلة، أعتقد أنكم تشعرون بنفس التوتر الذي شعرت به عند قدومي، فالثقة تُبنى بصعوبة، وتُهدم بسهولة، ولكن دعونا نتفق على شيء واحد اليوم، فبناء هذه الثقة ليس رغبة فردية، بل ضرورة للجميع».

بينما كان خالد يتحدث، كانت الأنظار تتنقل من شخص لآخر، بعضها يحمل شكًّا، وبعضها يحمل فضولًا، وأخرى كانت تعكس تلك الجرعة الصغيرة من الأمل التي بدأوا يشعرون بها، فلم يكن بحاجة إلى المزيد من الكلمات؛ كان الوقت قد حان للعمل، والحديث عن التغيير لم يكن كافيًا.

قرر خالد أن يبدأ مع كل فرد من أفراد الفريق بشكل مختلف، فقد اختار أن يتواصل معهم بشكل غير رسمي، إذ كان من الأفضل أن يتحدث معهم أثناء استراحة القهوة أو خلال لحظات قصيرة بين الاجتماعات، فقد كان سامر، أحد أعضاء الفريق، أول من شعر خالد بأنه ما يزال حذرًا، كان وجهه يعكس ذلك الحذر الذي بناه حول نفسه منذ سنوات، فحاول خالد أن يفتح معه حديثًا مختلفًا، فاقترب منه خالد وقال له:

«هل جربت التقاط صور للطبيعة مؤخرًا؟». كان سؤاله بداية لفتح قنوات اتصال جديدة بينه وبين هذا الشاب، بعيدًا عن روتين العمل، فوجئ سامر قليلًا، وكأن خالد قد اخترق الجدار الذي بناه حول نفسه، ثم أجاب مترددًا:

«ليس مؤخرًا فقد كنت منشغلًا في العمل».

فأضاف خالد: «نحن جميعًا مشغولون، ولكن التوازن بين العمل والحياة ليس رفاهية، بل هو ضرورة».

مع هذه الكلمات، شعر سامر أن بابًا قد فُتح، ولو جزئيًّا، فقد كان خالد يعرف أن هذا لن يكون كافيًا، ولكنها كانت بداية.

وفي اليوم التالي، كان الفريق مجتمعًا في قاعة الاجتماعات، وتلك الجدران التي تحيط بهم كانت تنبض بالتوتر، وبدأ خالد حديثه قائلًا:

«سأكون معكم صريحًا تمامًا، لدينا تحديات كبيرة أمامنا، فليس هناك عصا سحرية لتغيير الأمور بين ليلة وضحاها، لكن لدينا القوة لإحداث تغيير حقيقي إذا عملنا معًا».

وبتلك الكلمات قد فتح خالد الباب أمام الأسئلة المباشرة، وكانت لحظة صعبة، فلم يكن الأمر يسيرًا على الجميع، وعندما طرح أحدهم سؤالًا عن الترقيات، كانت إجابة خالد واضحة:

«الترقيات ستُمنح بناءً على الأداء، لا على العلاقات الشخصية، أريد من كل واحد منكم أن يشعر أن جهده مقدَّر وملاحظ».

بدأ الفريق يشعر بتغيير ما، ولكن الشكوك لم تختفِ بعد، كانت هناك أحاديث جانبية، همسات تشير إلى أن ولاء خالد لا يزال قيد الاختبار، حيث كان خالد يعرف أن التحدي الحقيقي الآن هو تحويل هذا الشك إلى يقين، فكان عليه أن يواجه هذه الأزمة بنجاح، لذلك قرر تنظيم ورشة عمل للفريق، وتلك الورشة كانت بعيدة

كل البعد عن التقليدية، إذ كانت تجربة تفاعلية.

أحضر خالد صندوقًا مغلقًا، وأخبرهم أن بداخله شيئًا مهمًّا للمجموعة، لكن لفتحه، عليهم العمل معًا لحل الألغاز، فكانت الفكرة بسيطة، ولكنها تحمل في طياتها الكثير من العمق. ومن خلال الورشة، بدأ الفريق يتعاون بشكل غير مسبوق، إذ كان كل فرد يضع جزءًا من الحل، حتى تمكّنوا من فتح الصندوق، ليكتشفوا أنه يحتوي على رسالة تقول: «الثقة ليست هدفًا، إنها رحلة نعيشها معًا».

لم تكن هذه الكلمات مجرد رسالة، بل كانت بداية لفهم جديد، فبعد تلك الورشة، بدأت بيئة العمل تتغير بشكل غير ملحوظ، فأصبحت الاجتماعات أقل توترًا، إذ كان أفراد الفريق يشعرون الآن بأنهم ليسوا مجرد تروس في آلة، بل أفراد لديهم قيمة حقيقية، فبدأ الولاء يتحول من كونه مجرد مطلب يُفرض، إلى شعور ينبع من الثقة التي بناها معهم.

ومع مرور الوقت، أصبحت الأمور أكثر سلاسة، فقد تغيرت ديناميكيات العمل بشكل غير مسبوق، ورغم أن خالد كان قد واجه العديد من التحديات، فإنه كان يشعر بأن بناء الثقة وكسب الولاء لم يعد مهمة مستحيلة، بل كانت رحلة بدأوها معًا، ومع كل خطوة يخطوها، كانوا يقتربون أكثر من الهدف الذي طالما حلموا بتحقيقه.

هدوء الليل والذكريات المؤلمة

كانت ليلة هادئة، والسماء تتلألأ بالنجوم، وكأنها تراقب الأرض بصمتٍ مهيب، وفي غرفة المعيشة بمنزل خالد، اجتمعت الأسرة الصغيرة لقضاء وقتٍ دافئ بعيدًا عن صخب الحياة اليومية، كان خالد يجلس على الأريكة، يحمل جهاز التحكم عن بعد، يتنقل بين القنوات بحثًا عن فيلم يُدخل السعادة إلى قلب زوجته فاطمة وطفليه أحمد وليلى.

كانت فاطمة تحتسي كوب الشاي الذي اعتادت حمله بين يديها برفق، مشهد بسيط لكنه يحمل دفئًا يعكس مكانتها الكبيرة في حياة خالد وليلى، بشعرها المموج الذي يشبه أشعة الشمس في نعومته، التصقت ليلى بوالدتها، بينما جلس أحمد بجانب والده بحماسة طفولية لا يمكن مقاومتها.

بدأ الفيلم، ومع أولى مشاهده المضحكة، علت الضحكات في أرجاء الغرفة، وكأنها نجحت في نثر السعادة بينهم، ولكن تلك السعادة لم تدم طويلًا؛ إذ سرعان ما تغيرت الأجواء عندما ظهر مشهد فقدان البطل لطفله.

ساد الصمت فجأة، وكأن الغرفة قد تجمدت في لحظة واحدة، فلاحظ خالد هذا التغيير في ملامح عائلته؛ إذ بدا أحمد متجمدًا في مكانه، يبحث بعينيه عن تفسير، وليلى التي دائمًا ما كانت الأكثر حساسية نظرت إلى والدتها بقلق، وكأنها تستشعر وجود ذكرى أليمة تلوح في الأفق.

كانت فاطمة تحاول جاهدة كتمان شهقاتها، لكن خالد أدرك فورًا أن هذا المشهد أعاد إلى ذهنها ذكرى رحمة، ابنتهم الكبرى التي رحلت عنهم تاركةً جرحًا عميقًا في قلوبهم، وبهدوء أطفأ خالد التلفاز، محاولًا كبح الألم الذي بدأ يغمرهم، ثم اقترب من فاطمة ووضع يده على يدها المرتعشة، محاولًا بث الطمأنينة في قلبها، فانهمرت دموعها بصمت، تحمل ذكريات ثقيلة لم ينجح الزمن في محوها.

قال خالد بصوت هادئ وثابت:

«فاطمة، رحمة في مكان أفضل الآن، في الجنة، حيث النعيم الأبدي».

فالتفت أحمد إلى والده بنظرة ملؤها الفضول والحزن، وسأله بصوت منخفض:

«أبي، هل يمكن أن تحدثنا عن رحمة؟».

ابتسم خالد بحزن، وبدأ يتحدث:

«كانت تحبكم جدًّا، يا أحمد، فكنت طفلها المدلل، وكانت تحلم

برؤيتكم جميعًا تكبرون وتحققون أحلامكم».

ثم نظر إلى ليلى، التي كانت تمسح دموعها بيد صغيرة، وقال:

«وأنتِ يا ليلى، كنتِ دائمًا أملها، كانت ترى فيكِ قوة وجمال والدتك».

ورغم تلك اللحظات المؤثرة، قرر خالد تغيير الأجواء فاقترح لعبة تبادل الحكايات عن أجمل الذكريات العائلية، وسرعان ما بدأ أحمد يحكي عن موقف مضحك حين أوقعت ليلى الكعكة على الأرض وأكلت منها سرًّا، وشاركها أحمد في ذلك، طالبًا منها ألا تخبر والدتهما، ثم ارتفعت الضحكات من الجميع، حتى أن فاطمة علّقت مازحة:

«أذكر أن أحدكما اتهم القطة في تلك الجريمة!».

انتهى الوقت العائلي بضحكات خففت من وطأة الحزن، ثم أرسل خالد الأطفال إلى فراشهم، وبقي مع فاطمة التي بدت أكثر هدوءًا، رغم أن الحزن لم يغب عن عينيها، فقال لها خالد بصوت يحمل الكثير من الحنان:

«أعرف أن الألم كبير، يا فاطمة، لكننا بحاجة لأن نكون أقوى، من أجلكِ، ومن أجل أحمد وليلى، ولأجل ذكرى رحمة التي ستظل دائمًا جزءًا منا».

فهزت فاطمة رأسها بصمت، ثم همست:

«أعلم ذلك، لكن القلب يحتاج إلى وقت».

فربّت خالد على كتفها قائلًا:

«وأنا هنا دائمًا بجانبك».

وبعد أن نامت فاطمة، بقي خالد في غرفة المعيشة وحده، محاولًا استعادة ذكرياته مع رحمة، وبينما كان يغرق في أفكاره، خطفه النوم.

وجد خالد نفسه في مكان لا يوصف؛ نهر جميل يجري بهدوء، تحيط به بساتين كأنها لوحة سماوية، ثم ظهرت رحمة فجأة، بفستان أبيض وابتسامة ملأت قلبه بالسكينة.

فنادت عليه بصوتها العذب:

«أبي!».

وركضت نحوه واحتضنته بقوة، ثم قالت:

«أنا سعيدة جدًّا هنا، لا تحزن عليّ، وفى كل مرة ترون الأزهار، تذكروني وابتسموا».

استيقظ خالد على صوت القطة وكأنها أرادت أن تُخبره بأنه ليس في سريره، فحمل القطة وقبّلها، ثم ذهب ينام في فراشه بجانب زوجته فاطمة، ولكنه شعر براحة غريبة، وكأن الحلم كان رسالة حقيقية قد أرسلتها له ملاكه من الجنة ليطمئن قلبه..

بين العمل والمفاجآت السارة

استيقظ خالد على صوت المنبه، ذلك الصوت الذي يفصل بين الحلم والواقع، ففتح عينيه بينما لا تزال تفاصيل الحلم عالقة في ذهنه؛ ابنته رحمة، التي أخذها الموت مبكرًا، ظهرت له في حلمه، كانت تلعب كفراشة وسط بستان أخضر يحيط به نهر صافٍ، ووجهها يفيض بالضحك، وعندما ركضت نحوه، شعر كأن الجرح القديم في قلبه اندمل للحظات.

نظر خالد إلى زوجته فاطمة والتي كانت نائمة بسلام إلى جانبه، فاقترب منها وقبّل جبينها بهدوء، كأنه يترك لها وعدًا صامتًا بأن يكون دائمًا سندًا لها مهما اشتدت الأوقات، ثم ارتدى ثيابه وأغلق الباب بهدوء، متجهًا إلى عمله. وفي طريقه إلى المكتب، كان يلاحظ الصمت الصباحي الذي حمل معه نذيرًا لشيء غير معتاد، وعند وصوله إلى المكتب، لاحظ تغيرًا في الأجواء؛ الهمسات بين الموظفين والوجوه المرهقة كانت تشير إلى أمر كبير يلوح في الأفق، فدخلت عليه سارة السكرتيرة، وقالت بنبرة تحمل القلق:

«أستاذ خالد، المدير العام يطلبك في اجتماع عاجل الآن».

فقـرر أن يتوجه الى قاعـة الاجتماعات أولًا، فدخـل ليجد المدير العـام في انتظاره مع فريق العمـل، وكأن الجميع ينتظرون مجيئه لكي يبـدأ الاجتـماع. وبعد قليـل، ألقى المديـر خطابًا مقتضبًـا لكن ثقيل الوطأة، تحدث فيه عن تغيرات السـوق وضغوط المنافسة، وضرورة اتخاذ قرارات صعبة تشمل إعادة هيكلة الشركة، فقال بثقة مصطنعة جملةً جعلت خالد يشعر بالقلق:

«علينا التكيف بسرعة».

لكنـه حرص عـلى إظهـار الثبات أمـام الجميـع، ثم سـأل المدير عـن الخطة وسـبل حماية الفريق مـن تأثير تلك القـرارات، فلم تكن الإجابات مطمئنة، لكنها كانت كافية لإدراك حجم المسـؤولية التي أصبحت الآن على عاتقه.

وبعـد انتهاء الاجتماع، عاد خالـد إلى مكتبه وجمع فريق العمل في قاعة الاجتماعات الصغيرة، ثم بدأ حديثه بهدوء:

«أعلم أن الوضع ليس سـهلًا، وأننا نمر بفترة صعبة، لكنني أثق بقدرتنـا عـلى مواجهـة التحديات، فـكل تغيير هو فرصـة لنا لنثبت قوتنا، فدعونا نعمل معًا لتجاوز هذه المرحلة».

ثم راقب ردود فعل الفريق، وشـعر بأن كلماته لامسـت قلوبهم، فـأدرك أن التحدي الحقيقـي يكمن في الحفاظ على اسـتقرار الفريق وزرع الأمل، رغم الصعوبات التي يمكن أن يواجهوها جميعًا.

وعند نهاية اليوم، عاد خالد إلى المنزل محاولًا أن يترك هموم العمل خلفه ويركز على عائلته، وكانت فاطمة في استقباله بابتسامتها الدافئة وسألته عن يومه، لكنه اكتفى بالقول: «إنه كان مزدحمًا». وما إن دخل المنزل حتى لاحظ نشاطًا غير عادي في كل ركن؛ الروائح الزكية تفوح من المطبخ، وفاطمة منشغلة بإعداد الطعام وكأنها كانت تخفي شيئًا، لكنه لم يكن متأكدًا من ماهية المفاجأة فسألها مُبتسمًا: «ماذا تفعلين هنا؟».

ردت فاطمة بابتسامة خفيفة: «ألم تقرأ التاريخ اليوم يا عزيزي؟ إنه التاسع من شهر فبراير عام ألفين وخمسة عشر؛ إنه عيد ميلادك، فربما نسيت بسبب انشغالك، لكنني لم أنسَ، وقد قررت أن أجعل هذا اليوم مميزًا».

كان خالد يستمع لزوجته مندهشًا، فقد فوجئ، ولكنه أدرك مدى اهتمامها بالتفاصيل الصغيرة التي تصنع لحظات كبيرة، وبعدها اكتملت المفاجأة؛ إذ فوجئ بطرقٍ على الباب، فذهب ليفتحه، ليجد عائلته وأصدقاءه مجتمعين، يحملون الهدايا في أيديهم والتهاني على وجوههم، وكأنهم على اتفاق بتجمعهم أمام منزله في توقيت واحد؛ لتكون مفاجأة سارة لذلك الرجل الذي دائمًا يعمل بلا توقف، ويحب الجميع وأيضًا يحبه الجميع.

امتلأ المنزل بالضحكات وأجواء الفرح، وبعد لحظات جلس

الجميع حول طاولة الطعام التي أعدتها فاطمة، والتي حظيت بإعجاب الجميع، لتناول أشهى الأطعمة.. وقرب نهاية اليوم، أحضرت فاطمة كعكة كبيرة مكتوبًا عليها: «زوجي الغالي، أحبك كثيرًا». فكان الاحتفال مليئًا بالموسيقى والضحكات، وكان الأطفال يمرحون في كل زاوية..

وبينما كان خالد يحتفل مع عائلته، تذكر ابنته رحمة، التي شعر -بالرغم من غيابها- بأنها كانت تراقبهم من مكان أفضل، فعندما وقعت عينه على باقة زهور بين الهدايا، تذكر حلمه، وابتسم بحنين، فهي التي أخبرته بأنها حاضرة في كل زهرة تقع أعينهم عليها..

انتهى الحفل، وعاد الجميع إلى منازلهم، بينما جلس خالد مع أطفاله وزوجته التي شكرها بحب وامتنان، وعانقها قائلًا: «أشكر الله على نعمة وجودك في حياتي يا فاطمة».

كانت تلك اللحظات البسيطة درسًا له بأن الأيام السعيدة، مهما كانت قصيرة، تظل ذكرى جميلة تحملها القلوب دائمًا.

دروس في الإنسانية

في أحـد أروقـة الشركة التي اتخـذت من الفخامة أسـلوبًا لجذب العمـلاء والموظفـين على حـد سـواء، كان خالد يتجـوّل بخطوات هادئة، يُلقي التحية على من يمر بجانبه، يسأل عن أحوالهم بابتسامة صادقـة لا تفارق وجهه. عـلى الرغم من الانتقادات التي وُجهت له في البداية بأن تجوّله المستمر قد يؤثر على مكانته كمدير، إلا أنه لم يُعر هـذه الآراء اهتمامًا، مؤمنًا بأن القرب من الموظفين والاطلاع المباشر على تفاصيل العمل هو أساس النجاح.

لم يكـن تجوّلـه مجرد عـادة يوميـة، بل كان لـه دور كبـير في تحفيز الموظفين وخلق بيئة ودية تزيد من شـعورهم بالانتماء. كما أن مروره بين الأقسام لم يقتصر على التفاعل الاجتماعي فقط، بل أصبح وسيلة فعّالة لاكتشـاف فرص التحسـين، حيث لاحظ نقاطًا يمكن العمل عليها لتحسين الأداء وزيادة الكفاءة.

فبينما كان يتأمل تفاصيل المكان، توقف فجأة عند زاوية بعيدة... حيث كان المشـهد أمامه بسـيطًا في ظاهره، لكنه حمل في طياته معاني عميقـة: كانـت هناك موظفة شـابة، أنيقـة المظهر، تحمـل هاتفها بيد

وتلـوّح بيدهـا الأخرى نحو عامل نظافة مسـنّ، يبـدو أن الزمن قد تـرك بصماته الواضحـة على جسـده النخيل، فكانـت الموظفة تقول بنبرة جافة:

«سرّع قليـلًا، هـذه القهـوة تلطـخ المكتب، ويجـب أن تكون هنا لتنظيف مثل هذه الأشياء فورًا!».

فنظـر العامـل إليها بعينـين تحملان الـتردد والخجل، ثـم انحنى ليلتقـط منشـفة قديمـة كانـت معه، فتقـدم خالـد بخطـوات ثابتة، وعندمـا اقترب أمسـك بالمنشـفة قبل أن تصل إلى يـد العامل، وقال بحزم هادئ:

«دعني أنا أتولى الأمر».

فارتبك العامل، وقال بصوت متلعثم:

«لا يا سيدي، هذا عملي...».

فقاطعته ابتسامة خالد الواثقة:

«عملـك أثمن مـن هذا، فأنـت هنا لتسـاعدنا، وليـس لتتحمل تصرفات الآخرين».

فوقفـت الموظفـة مشـدوهة، لم تعـرف كيـف تـرد أو تتـصرف، فبادرت بالقول في خجل:

«لا داعي، سأنظفها أنا الآن...».

لكن خالد رفع يده كإشارة ليتوقف الحديث، وقال:

«لا بأس، دعيني أنتهِ من هذا».

بدأ خالد يمسح آثار القهوة بنفسه، ويداه تتحركان بمهارة هادئة، بينما كان الجميع حوله يراقب المشهد بصمت، وبعد أن انتهى، التفت إلى العامل وابتسم قائلًا:

«شكرًا لك على كل ما تقدمه هنا. الآن، يمكنك أن تستريح قليلًا، فأنت تستحق ذلك».

لم يتمالك العامل نفسه، فشكر خالد بعينين ممتلئتين بالامتنان والتقدير، لكنه حاول التراجع بخجل. ابتسم خالد وأمسك بيده برفق، قائلًا:

«نحن شركاء في هذا المكان، وما نقوم به معًا هو ما يجعلنا أقوى. لا داعي للخجل، فأنت جزء مهم من نجاحنا».

وبعد أن غادر العامل، التفت خالد إلى الموظفة التي كانت تقف مرتبكة، وكأنها تخشى كلمات اللوم التي ستأتي، فأشار لها بالجلوس، ثم جلس أمامها مباشرة وقال بنبرة هادئة لكن واثقة:

«أريدك أن تخبريني شيئًا، ما هو تعريفك للقيادة؟».

لم تستطع الإجابة فورًا، وكأن السؤال كان أكبر مما توقعت، وبعد لحظات، قالت بصوت متردد:

«القيادة هي أن ندير العمل، ونوجه الآخرين لتحقيق الأهداف».

ثم هز خالد رأسه قليلًا، ثم قال:

«إجابة جيدة، لكنها ناقصة، فالقيادة الحقيقية ليست مجرد إدارة العمل، بل إدارة القلوب، وأن تجعل الآخرين يشعرون بأنهم جزء من الفريق، وليس مجرد أدوات لتحقيق النجاح».

وصمت قليلًا، ثم أضاف:

«هناك قول قديم أحبه كثيرًا: القائد الحقيقي هو من يترك أثرًا في الأرواح، لا في الأعمال فقط».

فنظرت إليه الموظفة، وقد بدأت كلماته تخترق أعماقها، ثم تابع خالد:

«هل تعلمين أن عامل النظافة الذي كان أمامك الآن قد يستيقظ كل يوم وهو يدعو الله أن يجد قوت يومه؟ هل فكرتِ يومًا في ظروفه؟ في تعبه؟».

فهزت رأسها بخجل، ولم تستطع الإجابة، فقال خالد:

«احترام الآخرين لا يُقاس بمناصبهم، بل بإنسانيتهم، ونحن كقادة، علينا أن نكون قدوة، حتى عندما يرونك تحترمين كل من حولك، سيتعلمون منك، وعندما يرونك تُهينين أحدًا، سيظنون أن هذا هو الطبيعي».

ثم أضاف خالد بنبرة تحمل مزيجًا من الحكمة واللطف:

«تذكري دائمًا، الوظيفة ليست قيمة الإنسان، فقيمته في أخلاقه، في طريقة تعامله مع الآخرين، وفي الحب الذي ينشره أينما ذهب، نحن هنا في هذه الشركة لسنا مجرد موظفين، نحن أسرة واحدة، والأسرة لا تُهين أحد أفرادها».

ثم قال:

«العظمة ليست في أن نُصدر الأوامر، بل أن تجعلي كل من حولك يشعر بأنه مهم، وهذا يبدأ منك»

بدت الموظفة وكأنها على وشك البكاء، ثم قالت بصوت متقطع:

«أنا آسفة... لم أفكر بهذه الطريقة من قبل».

ابتسم خالد وقال:

«الاعتذار بداية جيدة، لكن التغيير هو الأهم، أريدك أن تذهبي إليه لاحقًا وتشكريه، ليس فقط لأنه كان سينظف القهوة، بل لأنه يساهم في جعل هذا المكان أفضل لنا جميعًا».

ثم نهض خالد، وأضاف:

«وتذكري، القيادة ليست سلطة، بل مسؤولية... مسؤولية عن الجميع، بدءًا بمن هم تحت إدارتك».

ثـم تركهـا غارقـة في أفكارهـا، وقد أضـاءت كلماتـه جوانب في نفسها لم تكن تعلم بوجودها.

وبعد سـويعات، تحوّل هذا الموقـف إلى حديث اليوم في الشركة، فقد أصبح خالد ليس فقط مديرًا محترمًا، بل رمزًا للإنسانية والقيادة الحكيمة.

ومنذ ذلك اليوم، تغيّر سلوك الموظفة وكل من حولها، وأصبحت قصـة خالـد مع عامـل النظافـة درسًـا يتناقله الجميع عـن الأخلاق والاحترام.

إعادة الثقة إلى الموظفين القدامى

استفاقت الشمس على صباح جديد، لكن خالد لا يزال عالقًا في أفكاره، لقد مرّ اليوم تلو الآخر، وهو يحاول أن يضع نفسه في مكان هـؤلاء الموظفين الذين ما زالـوا يرفضون التغيير، يرفضون رؤية أي أمـل في الإدارة الجديدة. وقبل أن يذهب إلى العمل.. نظر إلى فاطمة التي كانت نائمة بجانبه في السرير؛ كانت سـيدة المنزل التي لم تتأخر أبـدًا في إمداده بالدعم الذي يحتاج إليه، لكنها كانت أيضًا تلك التي تعتني بتفاصيل يومهم.

أمـا اليوم فليـس مثل باقي الأيـام، فاليوم قد يواجـه خالد تحديًا جديدًا، فهؤلاء الموظفون القدامى الذين ظلوا سنواتٍ تحت إدارات مختلفة، لا يظن خالد بأنهم سـيقبلون التغيير بسـهولة، ولكنه قرر أن يُسكت دماغه عن التفكير وينهض للعمل..

قبل خالد جبين فاطمة بهدوء وخرج من المنزل.

كان صباحًـا مشرقًـا، ولكـن خالـد كان في حالـة مـن التوتـر، فبالرغم من الجهد الذي بذله في الأشهر الماضية لإظهار وجه الإدارة

الجديد، فإنه لم يكن متأكدًا من رأي الجميع، إذ إن الموظفين القدامى، أولئك الذين قضوا سنوات طويلة في هذه الشركة، كانوا غارقين في شكوكهم، وكان من الصعب عليهم تصديق أن الأمور قد تغيّرت..

جلس خالد في سيارته لدقائق، محاولًا ترتيب أفكاره.. ثم قرر أن يواجه الموقف بنفسه..

فوصل إلى مكتبه، وقبل أن يبدأ في أي عمل، قرر أن يلتقي مع مجموعة من هؤلاء الموظفين القدامى، فهو يعلم أن هذا سيكون اللقاء الأهم، فقد كان عليهم أن يتعرفوا عله بشكل شخصي، ويشعروا بتغيّر حقيقي في طريقة التعامل؛ لذلك، قرر أن يخصص لهم وقتًا خاصًّا في الساعة العاشرة صباحًا في قاعة الاجتماعات.

دخل خالد القاعة، ووجد الوجوه التي ألفها في السنوات الماضية، بعضهم يحدق في الأرض، وآخرون يبدون وكأنهم غارقون في أفكارهم، غير مستعدين للقبول بأي تغيير، ولكنه لم يترك نفسه تحت تأثير تلك النظرات، فتقدم بخطوات ثابتة، وطلب منهم أن يستمعوا جيدًا لحديثه:

«أعلم أنكم في البداية لم تكونوا متحمسين لهذا التغيير، وأتفهم تمامًا أن السنوات الماضية كانت مليئة بالإحباط، لكنني هنا اليوم لأقول لكم إن هناك بداية جديدة لهذه الشركة، وهذه البداية تتطلب منا جميعًا أن نتوحد في هدف واحد».

تحدث خالد وكان يشعر بقلبه ينبض بسرعة، ولكنه قرر أن يظل هادئًا، فنظر في أعينهم، وهو يتابع حديثه:

«هذه الشركة هي ملك لكم، أنتم من صنعتم نجاحها على مر السنين، ولكننا بحاجة إلى تحول حقيقي، تحول يتطلب منا التعاون معًا، وإنني لا أعدكم بالكمال، لكنني أعدكم بأننا سنعمل معًا لتغيير الواقع الذي نعيش فيه».

لحظات صمت، كانت محملة بكثير من المشاعر، ولكنه قرر أن يكون صريحًا وواضحًا، فلم يكن بحاجة إلى الكلمات المعقدة، ولكنه كان بحاجة للصدق، فأكمل حديثه قائلًا:

«نعم، هناك خطط طويلة الأمد، وأنا مستعد للعمل معكم لتطوير بيئة العمل، وتقديم فرص جديدة للنمو الشخصي والتطوير المهني. لدينا آمال كبيرة، ولكن لن يتحقق أي شيء إذا لم نكن جميعًا على المسار نفسه».

بتلك الكلمات أراد خالد أن يتأكد من أنهم يشعرون بجدية هذه التغييرات، فواصل أيضًا حديثه:

«سأكون معكم في كل مرحلة من مراحل هذه التحولات، وسيكون لنا لقاءات دورية، حيث يمكنكم طرح أسئلتكم ومخاوفكم، وسنعمل معًا لإيجاد حلول، ولكن ما أحتاج إليه منكم الآن هو الثقة، الثقة في أن التغيير قادم».

وفجأة، بـدأ بعض الموظفين في التفاعل بشـكل إيجابي، ثم بدأت الأيدي تُرفع، وأصبح الحوار أكثر حيوية، فسأل أحدهم عن تدريب الموظفـين الجدد، وآخر أشـار إلى الحاجة إلى تحسـين ظروف العمل. كانت هذه الأسئلة، على الرغم من أنها تتعلق بمشاكل قائمة، إلا أنها كانت تحمل في طياتها شيئًا من الأمل، شيئًا من الإيمان بأنهم يمكنهم تغيير الأمور إلى الأفضل، فتشجع خالد وأكمل حديثه بثقة أكبر قائلًا:

«لن أقول لكم إن كل شيء سيكون سهلًا، ولكنني أعدكم بأنني سأبذل قصارى جهدي لتقديم بيئة عمل أفضل، لتوفير فرص جديدة، ولجعـل كل واحـد منكم يشـعر بقيمتـه الحقيقية في هـذه الشركة».

وفي تلك اللحظة، وعلى الرغم من أنه لم يكسـب ثقتهم بالكامل، إلا أنـه شـعر بـأن هناك خطـوة كبيرة قد أُنجـزت، فكانوا قـد بدأوا يشـعرون بأن هنـاك تحولًا حقيقيًـا؛ ما جعل خالدًا يشـعر بشيء من الطمأنينـة يملأ صدره، فالطريق ما زال طويلًا، ولكنه كان واثقًا من أنه بدأ يزرع بذرة الأمل في قلوبهم.

وبعـد انتهاء الاجتماع، كان خالد قد حصل على فرصة أكبر لفهم مخاوفهم وتطلعاتهم، ولكنه كان يعلم أن العمل الحقيقي لم يبدأ بعد، بل إنه يبدأ من تلك اللحظة التي يبدأ فيها الجميع رحلة التغيير الحقيقي.

لحظة الانتصار الأولى

مرت الأشهر كصفحات في كتاب جديد مليء بالتحديات والتعلم، حتى جاء اليوم الذي شعر فيه خالد بأن ثمرة الجهد الجماعي بدأت تنضج، حيث كان النجاح الأول للإدارة أشبه بشروق شمس مشرقة، بعد ليالٍ طويلة من السهر والعمل الدؤوب؛ صفقة كبيرة، حلم كان يبدو بعيد المنال، أصبح حقيقة ملموسة.

ففي ذلك الصباح، جلس خالد في مكتبه يراجع الأرقام والتقارير، ولم يستطع كتمان ابتسامته؛ حيث كان الهدف الذي وضعه منذ البداية ليس مجرد حلم، بل خطة مدروسة تحققت بفضل فريق رائع، فأيقن بأن هذه اللحظة ليست مجرد إنجاز، بل بداية لانطلاقة جديدة، فقرر خالد أن هذه اللحظة تستحق أن تُخلد، ليس فقط في ذاكرته، بل في ذاكرة الفريق بأكمله، ولذلك دعاهم جميعًا إلى اجتماع مفاجئ، وعندما دخلوا غرفة الاجتماعات كانت الأجواء مليئة بالتساؤلات، ثم بدأ خالد الحديث بنبرة ممتلئة بالفخر:

«اليوم ليس كأي يوم، فاليوم أثبتنا لأنفسنا قبل أي أحد أننا قادرون على تحقيق المستحيل، فهذا النجاح ليس نجاحًا فرديًّا، بل

نجاح فريق اجتمع على هدف واحد وعمل بجد لتحقيقه».

وفي نهاية اليوم، أعلن خالد عن إقامة احتفال بسيط، حيث جلب كعكة كبيرة عليها عبارة: «نحو نجاح أكبر». وفي وسط التصفيق والابتسامات، شعر خالد بأنه نجح في زرع الثقة والسعادة في قلوب فريقه، حيث قرر بعد الاحتفال أن يلتقي بكل فرد من الفريق على انفراد، وتحدث معهم عن دورهم في هذا الإنجاز، وركز على نقاط قوتهم وكيف ساهموا بشكل مباشر في تحقيق النجاح، فكان هذا التفاعل الشخصي وسيلة لتعزيز ثقتهم بأنفسهم وشعورهم بالانتماء للفريق، فقال خالد لأحدهم: «رؤيتك للأمور من زوايا مختلفة كانت السبب في تجاوز الكثير من العقبات». وقال لآخر: «إصرارك على إنهاء المهام في الوقت المحدد هو ما جعلنا نتقدم خطوة بخطوة نحو النجاح».

فكان خالد يدرك أن الاحتفال يجب أن يكون بداية لشيء أكبر من ذلك، فالنجاح الأول قد يكون فخًّا إذا استرخى الفريق عنده، ولذلك جمع الفريق مرة أخرى، وبدأ الحديث عن الخطوة التالية:

«النجاح الأول جميل، لكنه ليس نهاية الطريق، فالآن لدينا مسؤولية أكبر، ويجب علينا أن نحافظ على مستوانا ونتجاوزه، فلنضع أهدافًا جديدة ونعمل على تحقيقها».

فاتفق الفريق على وضع خطط تفصيلية للمرحلة المقبلة، تضمنت تحسين الخدمات وزيادة قاعدة العملاء، وهنا شعر خالد

بالحماسة تعود إلى الأجواء، وتأكد أن الفريق مستعد للتحدي القادم.

وفي نهاية الاجتماع، بينما كان خالد يراقب فريقه يغادر المكتب بابتسامات عريضة وحماسة واضحة، أدرك أن القيادة ليست فقط في وضع الخطط، بل في خلق بيئة تلهم الآخرين وتجعلهم يؤمنون بأنفسهم، فالنجاح الأول كان شرارة، وكان خالد يعد نفسه وفريقه لاشتعال أكبر وتحقيق إنجازات أعظم.

بينما كان خالد يتجول في أروقة الشركة في نهاية اليوم، متأملًا اللحظات التي جمعتهم، لفت انتباهه أحد الموظفين يجلس وحيدًا في زاوية قاعة الاستراحة، كان وجه الموظف شاحبًا وعيناه شاردتين، وكأن العالم بأسره قد انكمش حوله، فاقترب منه بهدوء، وجلس بجانبه، ثم سأله بصوت منخفض:

«كيف حالك اليوم؟ يبدو أن هناك ما يشغل بالك».

رفع الموظف رأسه ببطء، وكأنه لم يتوقع أن يلاحظ أحد حالته، خصوصًا المدير، وقال متلعثمًا:

«أعتذر، أستاذ خالد، فلم أنتبه لقدومك، ولم أقصد أن أفسد يومك».

فابتسم خالد وقال:

«اليوم ليس لي وحدي، هو يومنا جميعًا، هيا أخبرني ما الذي يثقل قلبك؟».

فبدأ الموظف الحديث بتردد، لكنه سرعان ما انساب مثل نهر وجد مجراه أخيرًا:

«منذ نعومة أظفاري، وأنا أحمل صورة واضحة لمستقبلي، لكنها لم تكن من صنع يدي، كنت دائمًا أسمع والدي يقول لي: (أنت وفلانة مرتبطان منذ الآن)، فلانة هذه كانت ابنة خالتي، التي نشأت معها وكبرنا جنبًا إلى جنب، فكنت أومن بأننا سنكون معًا للأبد، وكأن هذا قدر لا مفر منه».

فابتسم له خالد بلطف وشجعه على الاستمرار في التحدث، فتابع الموظف حديثه وكأن شريط الذكريات يمر أمام عينيه:

«كان والدها يناديني دائمًا بـ(النسيب)، اعتدت على هذه الفكرة حتى أصبحت جزءًا من هويتي، ولم أفكر في شيء آخر، مرت السنوات، وكبرت، وعندما بلغت سن الزواج، شعرت بأن الوقت قد حان لتحقق النبوءة التي حملتها معي طوال حياتي، فتقدمت لخطبتها رسميًّا، لكني فوجئت باعتذارها بحجة انشغالها بالدراسة، لكني كنت واثقًا أنها ستوافق لاحقًا، ولكن الاعتذارات تكررت، حتى جاء اليوم الذي علمت فيه أنها كانت تحب ابن عمها، وأنها تنتظر اللحظة المناسبة لتخبرني».

ثم أخفض رأسه وقال بصوت يملؤه الحزن:

«شعرت بأن الأرض قد زلزلت تحت قدميّ، كيف يمكن أن

ينهار حلم عمره سنوات؟ كيف يمكن أن أخسر شيئًا لم أكن أظن أنه قابل للخسارة؟».

فقال له خالد، وهو ينظر إليه بعينين مليئتين بالتفاهم:

«أعلم أن ما مررت به ليس سهلًا، لكن اسمح لي أن أسألك: ماذا الآن؟ إذا كانت ابنة خالتك ليست لك، فماذا ستفعل؟».

صمت الموظف، وبعد لحظة قال:

«لا أعلم... أشعر بأنني فقدت القدرة على التفكير والحركة».

فوضع خالد يده على كتفه وقال له:

«الحياة لا تتوقف عند تجربة واحدة، فأحيانًا نعيش في ظلال أوهام صنعها الآخرون لنا، ونعتقد أنها قدر محتوم، ولكن القدر لا يُفرض، بل يُختار، وربما كان من الأفضل أن تكتشف هذه الحقيقة الآن، فلابد أن تبدأ من جديد، وأن تبحث عن شريكة حياة تناسبك وتفهمك، واجعل هذه المرة اختيارك واعيًا وناضجًا، يقوم على الاحترام والتفاهم المتبادل، فالحب الحقيقي لا يُفرض، بل يُبنى».

وبعد تلك الكلمات رأى خالد بصيص أمل يشرق في عيني الموظف، ثم أكمل حديثه قائلًا:

«في كل نهايةٍ فرصةٌ لبداية جديدة فكن قويًّا، وابحث عن السعادة بيديك، لا بظلال الماضي».

وبعـد أن تأكـد خالـد أن الموظـف قد تبدلـت حالته النفسـية إلى الأفضـل، وبعـد أن شـعر بـأن كلماته زرعـت فيه الأمل مـن جديد غـادره متجهًـا إلى مكتبه، ولكنـه في تلك اللحظة، أدرك شـيئًا مهمًّا: القيادة ليسـت فقط في تحقيق الأهداف، بـل في لمس قلوب الآخرين ومساعدتهم على النهوض من عثراتهم.

عـاد خالد إلى مكتبه، وأخـذ يراجع أحداث اليوم في ذهنه، فكان الاحتفال بالنجاح الأول مناسـبة لا تُنسـى، لكنـه لم يكن كافيًا، فقد قرر أن يضع أهدافًـا جديدة، لا تقتصر فقط على الإنجازات المهنية، بل على خلق بيئة تجعل الجميع يشعرون بالأمان والراحة.

الجرح الذي لا يندمل

في صباحٍ بدا عاديًّا كبقية الأيام، جلس خالد في مكتبه الفخم، غارقًا في أوراقه وتقاريره التي لا تنتهي، كان كل شيء يوحي بالهدوء؛ أصوات الأجهزة في المكتب، حركة الموظفين في الخارج، وضوء الشمس الذي تسلل برفق عبر النوافذ الزجاجية العريضة، ملامسًا سطح المكتب اللامع. وفي هذه اللحظة، دخلت سارة، السكرتيرة، بخطوات هادئة تحمل بيدها فنجان القهوة الذي تعوّد خالد أن يبدأ يومه به.

اقتربت منه قائلة بابتسامة ودودة: «صباح الخير، أستاذ خالد.. قهوتك جاهزة».

فرفع خالد رأسه مُبتسمًا لها كنوع من الشكر على إحضار قهوته، ثم أشار إليها في أدبٍ بوضع الفنجان على المكتب أمامه، ولكن بينما مدت يدها لتضعه اختل توازنها، وسقطت القهوة الساخنة على يد خالد..

عندما انسكبت القهوة الساخنة على يد خالد، لم يتغير تعبير وجهه ولو للحظة، بقي ثابتًا كأن الأمر لم يحدث، ولم تصدر عنه أي صرخة أو إشارة للألم، وكأنه متعود على مثل هذه المواقف. أما سارة، فكان

الذعـر قد اسـتولى عليها بالكامـل. ارتجفت في مكانها، وقد ارتسـم الرعـب على وجهها وهي تحدق في خالد بعينين متسـعتين، متراجعة بخطـوات صغيرة للخلـف. بصوتٍ متهـدج، قالت: «آسـفة جدًّا، أستاذ خالد! لم أقصد... أنا... أنا آسفة!».

ولكن خالد لم ينظر إليها حتى، بل سحب منديلًا بسرعة، محاولًا مسـح القهوة، ثم توجه بخطوات ثقيلة نحو الشرفة، ثم وقف هناك للحظـة، واضعًا يـده المصابة تحت ضوء الشـمس وفى الهواء، وكأنه يحاول تهدئة الألم، فلاحظت سـارة عينه التائهة، ليس في السـيارات المارة التي بدأت تتكاثف في الشارع البعيد، ولا في وجوه الناس التي تمـر كأنها أشـباح، بل كانت تحـدّق في الفراغ، بينما عقلـه يعود به إلى سنواتٍ مضت، إلى ذكرى محفورة في روحه، ذكرى جرح لم يندمل بعد.

أخذ خالد نفسًـا عميقًـا، ثم بدأ يتحدث بصـوت خافت، وكأنه يخاطـب نفسـه أكثر ممـا يخاطب سـارة سـكرتيرته: «هـل تعلمين يا سـارة؟ هذه الحروق ليسـت جديدة عليّ، لقد عشت مع الألم منذ أن كنت في الرابعة عشرة».

جلست سارة بصمت على المقعد المقابل لمكتبه، وقد بدا الفضول والخوف ممتزجين في عينيها، بينما بدأ خالد يروي:

«عندمـا كنـت صغـيرًا في ١٤ مـن عمـري، كنـت دائـمًا شـغوفًا بالمغامرة، فأتذكر ذلك اليوم وكأنه بالأمس.. كان صباحًا مشمسًـا،

وقـرر أسـاتذتنا في المدرسـة أن يأخذونـا في رحلـة إلى جبـل صغير اسـمه جبل الدخال، كنت أترقب الرحلة بحماس، فكنا مجموعة من الطـلاب، وكل واحد منـا يحمل حقيبة مليئة بالطعـام والماء، ونحن نتسابق للوصول إلى القمة».

ثم توقف في حديثه وابتسـم ابتسامة باهتة: «كان كل شيء رائعًا، المناظـر الطبيعية كانت تخطـف الأنفاس، والهواء البـارد كان ينعش أرواحنا. ولكن، كـما في كل تجربة مميزة، قد تتخللها لحظات مفاجئة تختبر قوتنا وتضيف لذكرياتنا نكهة مختلفة».

نظر خالد نحو الشـارع للحظة، وكأن المشـهد يعـود أمام عينيه، ثم أكمل لها حديثه: «بعد سـاعات من المشي والتسـلق والنزول من الطرف الثاني للجبل، وصلنا إلى مغارة جبل الدخال، وهي في وسط الجبل، فاقترح أستاذنا أن ندخل لاستكشافها، كنا نعتقد أنها ستكون مجرد تجربة ممتعة أخرى، لكنني لم أكن أدرك أن تلك اللحظة سـتغير حياتي إلى الأبد».

وأثنـاء حديثه، تغيرت نبرة صوته تدريجيًّا، وأصبح أعمق، وكأن الكلمات أصبحت ثقيلة كصخور يحاول حملها:

»دخلنـا المغـارة بخطوات مـترددة، وكلـما توغلنا أكثـر، غمرتنا الظلمـة تدريجيًّـا، ولم يكـن هناك سـوى خيـط ضعيف مـن الضوء يتسـلل مـن المدخل، بالكاد يكشـف المسـار أمامنا. مـع كل خطوة،

بـدأت المغـارة تضيق وتنحنـي، حتـى اضطررنا للزحـف من أجل الولـوج إلى عمقهـا. هناك، وجدنا غرفة داخليـة مظلمة، كأنها قلب المغـارة ذاته. لم نحضر معنا أي مصابيح، فاقترح أحدنا إشـعال عود كبريت لنرى بشكل أوضح.

لكننـا لم نكن نعلم أن الهواء كان مشـبعًا بغاز طبيعي متسرب من الأرض. في البداية، بدا كل شيء هادئًا عندما أشعل الكبريت، لكن بمجرد أن ارتفع اللهب قليلًا، انفجر المكان في لحظة. شعرت وكأن وحشًا ناريًّا انفجر فجأة، يطاردنا بلا رحمة.

لم يكـن لدينـا وقت للتفكـير. عمّـت الفـوضى، وصرخ الجميع محاولـين النجـاة. البعـض انزلق، والبعـض الآخر زحـف فوق مَن أمامه، في سـباق يائس للخروج. لكن النيران كانت أسرع منا جميعًا، تترك آثارًا لا تختفي، وذكريات لا تنطفي".

وفي تلك اللحظة، رفع خالد يده المصابة من القهوة، وحدق فيها كأنـه يرى الحروق القديمـة: "تلك النيران... شـعرت وكأنها تأكل جسـدي، فحاولت الهـروب، لكن ملابسي كانـت تحترق، صرخت بـألم لا يوصـف، ولكننـي اسـتمريت بالجري، حتـى وجدت نفسي خارج المغارة".

ثم التفت نحو سـارة، ونبرة صوته اتسـمت بالثبات والقوة التي لا تخلو من أثر التجربة:

"عندما خرجنا من المغارة، كنت أنظر إلى يديّ وقدميّ، وكانت الحروق تغطي أجزاء كبيرة من جسدي. الألم كان شديدًا، لكنني لم أسمح له بأن يكسرني. كنا أربعة، أحدنا كان الأستاذ الذي رافقنا، وكلنا نجونا، لكن تلك اللحظات كانت اختبارًا لمدى صمودنا. النار كانت تحيط بنا كوحش هائج، لكننا خرجنا معًا، متحدين الظروف".

ثم توقف لوهلة، وكأن الذكرى تعيد نفسها في رأسه، قبل أن يضيف: »عندما وصلت إلى المستشفى، ورغم الألم الذي شعرت به، كان أول شيء طلبته من الممرضة ألا تخبر أمي. لم أكن أريدها أن تقلق أو تشعر بالخوف عليّ، حتى وأنا أخوض واحدة من أصعب التجارب في حياتي".

كانت كلماته تعكس صلابة لا تتزعزع، وكأن التجربة لم تكن سوى خطوة أخرى نحو تعزيز قوته وثقته بنفسه.

ثم التقط أنفاسه لكي يستطيع أن يكمل حديثه، وبهدوئه المعتاد أدار وجهه نحو النافذة مرة أخرى وأكمل: "نُقلنا إلى المستشفى الخاص بالحروق. فتلك الأيام... لن أنساها أبدًا.. كانوا يقومون بتنظيف جروحي يوميًّا، والألم كان كأنهم ينزعون جلدي قطعة قطعةً.. لكنني تحملت، لأنني لم أكن أملك خيارًا آخر".

صمت خالد للحظة، ثم قال بصوت منخفض: "تلك التجربة علمتني الكثير، علّمتني أن الألم جزء من الحياة، لكنه لا يجب أن يُعرّفنا، بل يجب أن يُعيد تشكيلنا".

وعندما انتهى من حديثه، التفت إلى سارة التي كانت تحدق فيه بعيون مليئة بالتأثر، ثم قال بابتسامة هادئة:

"لا تخافي يا سارة، أحيانًا تكون القهوة مجرد قهوة، لا تحمل معها سوى لحظة استرخاء".

فابتسمت سارة بخجل، لكنها شعرت بأن تلك اللحظة غيرتها، فلم تعد ترى خالدًا مديرًا لها فقط، بل رجلًا يحمل جروحًا قديمة وقصصًا عميقة خلف مظهره القوي..

فتابع خالد حديثه مع سارة، ولكن بدا وكأنه يتحدث إلى ماضٍ أكثر من حديثه إلى شخصٍ أمامه، فعاد إلى مكتبه ثم جلس على مقعده، ساندًا ظهره على مسنده، رافعًا رأسه مُحدقًا في السقف، وكأن الكلمات التي لم ينطق بها أثقل من التي قالها:

«أتعرفين يا سارة؟ تلك التجربة علّمتني الكثير، ليس فقط عن الصبر على الألم، بل عن قوة الإرادة والتكيف. رأيت زملائي يمضون قدمًا في حياتهم بعد الحادثة، وأنا بدوري تعلمت أن أواجه التحديات بكل شجاعة. الجروح شُفيت، والندوب التي بقيت ليست سوى علامات على رحلة مليئة بالدروس، تذكرني دائمًا بقوتي

وقدرتي على النهوض مهما كانت الصعاب».

نظرت سارة إلى خالد باهتمام عميق، فقد شعرت بأنه يفتح لها نافذة على عالمه الداخلي الذي لم يطلع عليها أحد، فسألت بصوتٍ خافت: «أستاذ خالد... كيف تجاوزت ذلك؟ كيف استطعت أن تستمر؟».

أغمض خالد عينيه لثوانٍ، وكأنه استجمع الإجابة من أعماقه: «في البداية، لم أكن أعرف كيف كنت أستيقظ كل يوم بنفس الكوابيس؟! أصوات الصراخ، حرارة النيران، والمشهد الذي لا ينسى من محاولة النجاة... لكنها لم تكن كوابيس بقدر ما كانت تذكيرًا بقوتنا. وفي ذات يوم وخلال تجولي في المستشفى وشعوري بالضعف، التقيت رجلًا عجوزًا في المستشفى، كان اسمه عابد، كان يجلس على كرسي متحرك، فاقدًا ساقيه في حادثة مماثلة، لكنه كان يبتسم دائمًا، وكأنه لا يحمل أي ألم».

ابتسم خالد، وكأن ذكرى عابد أزالت عنه بعض الثقل: «سألته يومًا، كيف يمكنك أن تبتسم وأنت تعيش بهذا الشكل؟ فأجابني: (الألم ليس اختيارًا يا بني، لكنه فرصة، فإذا نظرت إلى ندوبك كذكرى للهزيمة فستبقى أسيرها، أما إذا رأيتها كعلامة على النجاة فستبدأ في العيش من جديد). تلك الكلمات قد غيرت حياتي».

فنظرت سارة إليه نظرة مليئة بالحزن وأيضًا بالفضول والرغبة في الفهم، فكانت ترى رجلًا يبدو قويًّا ومتماسكًا، لكنه يحمل في داخله جروحًا عميقة.

فنظر إليها وقال: «أتعلمين يا سارة، النجاح ليس فقط في المشاريع أو الإنجازات الكبيرة، بل إن النجاح الحقيقي هو عندما تجد السلام داخلك، عندما تقبل الماضي بكل ما فيه وتسمح له بأن يكون جزءًا منك، لا عدوًّا لك».

نظرت سارة إليه وكأنها تريد أن تستوعب كل كلمة قالها، فقد شعرت بأنه لم يشاركها قصته فقط، بل يمنحها جزءًا من حكمته ومن روحه، فسألته وهي مطمئنة من الإجابة:

«أستاذ خالد، هل تشعر الآن بالسلام؟».

فابتسم خالد وقال لها: «أحيانًا أشعر بهذا السلام، وأحيانًا أخرى لا أشعر به، فالسلام ليس هدفًا تصل إليه ثم تستريح، بل هو رحلة مستمرة، وأحيانًا أيضًا أستيقظ وأشعر بالهدوء والرضا، وأحيانًا أخرى أعود وأواجه الأشباح القديمة، ولكن الفارق الآن هو أنني قد تعلمت كيف أتعايش معها؟! وأدركت أن الألم والخسارة ليسا عدوَّين، بل

معلّمان».

وبعد انتهاء الحديث، شعرت سارة بأن لقاءهما لم يكن صدفة، بل كان حديث خالد بمنزلة مرآة جعلتها تفكر في حياتها، في تحدياتها، وفي الطريقة التي تعاملت بها مع صعوباتها.

وفى ختـام حديثه لسـارة، نظر مـرة أخيرة من خـلال شرفته، ثم قـال لها بصوتٍ واثـق: «عندما بدأت عملي مديـرًا، كنت أعلم أنني سـأواجه الصعاب، وكنـت أعلم أن الناس سـيروننى كرجل يحمل أعباء الماضي، لكنني أردت أن أريهم أن الماضي ليس قيدًا، بل أساس يمكننا البناء عليه».

وعندمـا عاد بالنظر إليها مجددًا، لم تسـتطع أن تخفي دموعها هذه المـرة، فقد شـعرت بأن كل كلمـة قالها كانت درسًـا في الصمود وفي التغلب على الألم والخسارة.

فقالت له بصوتٍ مليء بالإعجاب: «أستاذ خالد، قصتك ليست مجـرد تجربـة، إنها ملهمة، أشـعر بأنني أرى العالم بشـكل مختلف بعد سماعها».

فابتسـم خالد، وقال بنبرة هادئة: «الحياة يا سـارة ليسـت سهلة، لكنها دائمًا تمنحنا فرصًا للتعلم والنمو، المهم هو ألا نستسلم».

ثم عاود النظر نحو النافذة، متأمّلًا مباني العاصمة التي تمتد أمامه، وقال بهدوء: «الندوب، سـواء كانت على الجلد أو في الروح، ليست نهاية القصة، بل إنها بداية جديدة، إذا اخترنا أن نراها كذلك».

التغيير المؤلم من أجل الأفضل

كان صباحًا مثقلًا بالتفكير، إذ نهض خالد من فراشه على غير العادة، من دون أن يوقظه صوت المنبه، فقد أمضى ليلته مستيقظًا، تتقاذفه الأفكار حول اليوم الذي سيحمل معه قرارًا لا مفر منه، قرارًا يحمل معه تحولًا جذريًّا في مسار الشركة وحياة فريقه.

استعد للذهاب إلى عمله، لكن عقله ظل غارقًا في صراع داخلي؛ كيف لقائد أن يتخذ قرارًا بهذه الأهمية، من دون أن تتأثر مشاعره؟ ومع ذلك، كان يدرك أن هذا القرار ليس قراره وحده، بل هو جزء من إستراتيجية شاملة أعدتها الإدارة العليا بعناية، إذ كانت الخطة تتضمن عرضًا للتقاعد المبكر يمنح الموظفين فرصة جديدة للاستقرار المهني أو التفرغ لحياتهم الشخصية، بمزايا تعكس تقدير الشركة لسنوات عطائهم.

كانت الأفكار تلاحقه طوال الطريق إلى الشركة بلا هوادة، حتى وصل إلى مكتبه ليجد سارة، كعادتها، تنتظره بابتسامة هادئة، تحمل في يدها ملفات اليوم وفنجان القهوة الذي اعتاد عليه، وعلى الرغم من هدوء ملامحها، كان يعلم أنها تدرك حجم المسؤولية التي تثقل كاهله.

جلس خلف مكتبه، ونظر عبر نافذته الزجاجية إلى المدينة المزدحمة، محاولًا أن يجد في هذا المشهد الصاخب ومضات من الإجابات؛ كيف سيقنع موظفين قضوا سنوات من حياتهم في خدمة الشركة أن هذه الخطوة ليست نهاية، بل بداية جديدة؟ لكنه سرعان ما تذكر أن القيادة تعني أحيانًا اتخاذ قرارات صعبة، لكنها ضرورية..

بدأ خالد يومه بالاجتماع مع فريق الموارد البشرية؛ إذ دار النقاش حول أسماء الموظفين الذين قد يستفيدون من عروض التقاعد المبكر أو إعادة توزيع المهام، فقد تم تناول كل اسم بعناية، مع التركيز على إيجاد حلول توازن بين مصلحة الموظفين ومصلحة الشركة.

وفي اليوم التالي، خصص خالد وقتًا للقاء كل موظف على حدة، فجلس مع أحدهم وقال بنبرة تجمع بين الحزم والتعاطف:

«أعلم أن هذا القرار قد يكون صعبًا، لكنه جزء من عملية إعادة هيكلة تهدف إلى ضمان مستقبل أفضل للجميع، فالإدارة العليا قدمت عرضًا للتقاعد المبكر بمزايا مغرية؛ تقديرًا لجهودكم، كما أن هناك فرصًا لإعادة توزيع المهام لمن يفضل البقاء».

نظر الموظف إليه باندهاش، ثم قال بتردد:

«أفهم ذلك، لكن هذا القرار سيؤثر على عائلتي».

ابتسم خالد مطمئنًا وأجاب:

«لهـذا السـبب حرصنا عـلى توفـير برنامج دعم شـامل، يتضمن مزايا مالية مميزة وتوجيهًا مهنيًّا، بالإضافة إلى فرص جديدة تناسـب مهاراتك، فهذه الخطوة ليست وداعًا، بل بداية مختلفة».

ومـع انتهاء اليوم، جمع خالـد الفريق الباقي، وقال بصوت يحمل مزيجًا من الثقة والتعاطف:

«أعلم أن التغييرات ليسـت سهلة، لكنها ضرورية، فهذه المرحلة الانتقاليـة تتطلـب منا جميعًـا أن نكـون متحدين أكثر مـن أي وقت مضى، فأنا هنا لدعمكم، وللتأكد من أن كل فرد منكم سيشـعر بأنه جزء من هذا المستقبل الذي نبنيه معًا».

حرص خالد على وضع خطة شـاملة تضمنت إعادة توزيع المهام وتوفير تدريبات لتحسين مهارات الفريق؛ ما جعل الجميع يشعرون بأنهم جزء من هذا التحول الإيجابي.

ومـع مرور الوقـت، لاحظ خالـد أن الفريق الباقـي أصبح أكثر إنتاجيـة وتعاونًـا، فقد بـدا العمل أكثر تركيـزًا وفعاليـة، وأدرك أن القرارات الصعبة، إذا ما أُخذت بحكمة وتعاطف، يمكن أن تكون نقطة انطلاق نحو مستقبل مشرق للجميع.

رفيق الظل

في إحدى الأمسيات، حين كان الليل قد أرخى سدوله، وصوت عقارب الساعة المتحركة يُسمع بوضوح في أرجاء المكان، وكان البيت غارقًا في هدوء يكسره أحيانًا صوت حركة خفيفة هنا وهناك؛ كان خالد جالسًا في غرفة المعيشة بعد يوم طويل وشاق من العمل، غارقًا في أفكاره، يحمل كوبًا من الشاي الساخن بين يديه، يتصاعد منه بخار بطيء وكأنه يحاول تهدئة ما يعتمل في داخله..

بينما كان في هذه الحال، شعر بخطوات صغيرة تقترب منه، فرفع نظره ليجد ابنه الصغير أحمد، يقف على عتبة الغرفة، كانت في عيني الطفل نظرة تردد نادرًا ما رآها والده فيه، فتململ أحمد قليلًا ثم اقترب ببطء، وكأن كلماته ثقيلة على لسانه.

جلس خالد معتدلًا، ونظر إليه بابتسامة ترحاب قائلًا:

«ما الأمر يا أحمد؟ تبدو وكأنك تحمل شيئًا تريد قوله».

فتنفس أحمد ببطء وكأنه يحاول استجماع شجاعته، ثم قال بصوتٍ خافت:

«أبي... لا أريد الذهاب إلى المدرسة غدًا».

شعر خالد بدهشة من كلمات ابنه، فقد كان أحمد دائمًا ذلك الطفل المفعم بالحيوية والحماس، دائمًا ما يتحدث عن المدرسة وكأنها مغامرة يومية جديدة، فسأله بهدوء:

«ولمَ يا بني؟ أهناك ما يزعجك؟».

طأطأ أحمد رأسه ولم يُجب على الفور، وكأنه كان يبحث عن الكلمات المناسبة، فاقترب خالد منه وربت على كتفه برفق، ثم قال:

«لا تخف، يا أحمد، فيمكنك أن تخبرني بكل شيء، فأنا هنا لأساعدك».

رفع أحمد رأسه ببطء ونظر إلى والده بعينين قلقتين، ثم قال:

«هناك زميل لي في الفصل... يقولون إنه مريض بمرض معدٍ، والجميع يتجنبونه، وأنا أيضًا لا أريد الاقتراب منه».

تلك الكلمات أيقظت في خالد ذكريات قديمة عن موقف مشابه مر به في شبابه، فتنهد بعمق، ثم نظر إلى أحمد بحنان، محاولًا استيعاب قلقه ومخاوفه، ثم قال له بهدوء:

«تعال واجلس بجانبي يا بني، أريد أن أحكي لك قصة عن زميل لي عندما كنت في المدرسة، ربما تساعدك على فهم ما تمر به الآن».

جلس أحمد بجوار والده، وبدأ خالد يروي له القصة التي لم تفارق ذاكرته:

«عندما كنت في المرحلة الثانوية، كان لي زميل يُدعى علي، شاب مرح ومحبوب بين زملائه، ولكنه كان يعاني من مرض السيكلر. وبالرغم من تردده الدائم على المستشفيات للعلاج، كان يتمتع بروح معنوية عالية وحرص دائم على المشاركة في الأنشطة المدرسية والتفوق في دراسته. وفي أحد الأيام، في أثناء علاجه في المستشفى، نُقل إليه دم ملوث من دون علمه، ذلك الدم كان يحمل فيروس الإيدز، ولم يكن المرض معروفًا بشكل واسع آنذاك، وكان الجهل به يثير الخوف في قلوب الناس، ولكن عندما تأكد علي من إصابته، انتشر الخبر بين الطلاب، فبدأ الجميع يتجنبونه، وواجه نظرات مليئة بالخوف والشفقة، حتى من بعض المعلمين، أتذكر أن أحد المدرسين كان يتعامل معه وكأنه مصدر خطر، ويطلب من الفصل كله دفع الطاولات والابتعاد إلى الخلف؛ ما زاد من شعوره بالعزلة، فقررت وقتها أن أكون بجانبه مهما كانت الظروف، كنت أجلس معه في أثناء الاستراحات، وأمزح معه وأشاركه الأحاديث، فقد أردت أن يشعر بأنه ليس وحده».

صمت خالد للحظة، ثم أضاف:

«ومع مرور الوقت، قررت المدرسة استضافة مختص ليشرح للطلاب حقيقة فيروس الإيدز وكيفية انتقاله، فكانت تلك الجلسة نقطة تحول؛ بدأ الطلاب يدركون أن خوفهم كان مبنيًّا على مفاهيم خاطئة، وبدأوا يتعاملون مع علي بشكل طبيعي، وعندما عاد علي

للمدرسة بعد غياب، استقبله زملاؤه بترحيب كبير، وكان ذلك اليوم بداية جديدة له».

نظر خالد إلى أحمد، الذي كان يُنصت باهتمام شديد، ثم قال:

«أتعلم يا أحمد؟ زميلك هذا يحتاج إلى صديق يمد له يد العون، بدلًا من أن يزيد من وحدته، فتخيل لو كنت مكانه، كيف كنت ستشعر؟ واعلم أنه لو كان مرضه معديًا حقًّا، لما سُمح له بالاختلاط، فغالبًا ما تكون هذه إشاعات».

ظل أحمد صامتًا للحظة، وكأنه يستوعب كلمات والده، ثم قال بصوت خافت:

«أفهم ما تقوله، يا أبي، أعدك سأحاول أن أكون صديقًا له، أنت حقًّا أبٌ عظيم، أفتخر بك دائمًا».

ابتسم خالد وربت على كتف ابنه بحنان:

«هذا ما كنت أتوقعه منك، يا بني، أنا أيضًا أفتخر بك، فالإنسان الحقيقي هو من يُظهر التعاطف والرحمة في وجه الصعوبات».

وفي تلك اللحظة، شعر خالد براحة غريبة تملأ قلبه، فكان يعلم أن هذه اللحظة ستكون درسًا مهمًّا في حياة ابنه أحمد، درسًا لن ينساه أبدًا.

بناء ثقافة النجاح المستدام

إن النجاح ليس نهاية الطريق، بل بداية فصل جديد يعيد كتابة معاني الكفاح والتحدي، ففي مسيرة الحياة، يتبدل معنى النجاح مع مرور الوقت؛ فبعد أن يتحقق الإنجاز، تبرز الأسئلة التي تظل تراود العقل: كيف نضمن استدامته؟ كيف نُبقي على بريقه من دون أن يتلاشى؟

كان خالد يجلس في مكتبه، يتأمل جدران الغرفة التي تحمل شهادات التقدير وصورًا لمراحل مفصلية في رحلته الإدارية، وتلك الدروع التي قد تزين بها كل ركن في مكتبه، فلم يكن النجاح بالنسبة إليه نهاية الطريق كما قد يظن البعض، بل بداية جديدة تفتح أبوابًا لمزيد من التحديات والفرص.

مرت فترة مليئة بالصراعات والتحديات في حياة خالد، تمكن فيها من تحقيق إنجازات كبيرة. ومع ذلك، كان السؤال الذي يراوده دائمًا هو: كيف يمكن الحفاظ على هذا النجاح وضمان استدامته؟

فأول ما أدركه خالد أن النجاح لا يمكن أن يُبنى على جهود فردية فقط، بل هو ثمرة عمل جماعي منسجم، فلذلك بدأ يعيد النظر في

الطريقـة التـي يتعامل بها مع فريقه؛ ما جعله يشـعر بأنـه بحاجة إلى إسـتراتيجية تضمن نمو الأفراد داخل الفريق، وهو ما سينعكس في النهاية على أداء المؤسسة ككل.

قـرر خالد وضع خطط لتحفيز النمو المسـتدام، بحيث لا يعتمد النجـاح على أهـداف قصـيرة الأجل أو مكاسـب مؤقتـة، ولذا بدأ بعقد اجتماعات دورية مع فريقه لمناقشة الرؤية المستقبلية والأهداف الطويلـة الأمد، حيث كانـت هذه الاجتماعات تهـدف إلى خلق بيئة تشـجع على التفكير الإبداعي وتعزّز مرونة التعامل مع التحديات. إلى جانب ذلك، ركز خالد على بناء شراكات جديدة مع مؤسسـات وشركات أخرى، فكان يؤمن بأن تبادل المعرفة والخبرات يفتح آفاقًا جديـدة، فلـم تكن تلك الـشراكات تهدف فقط إلى تحقيق مكاسـب ماديـة، بل إلى تعزيز القدرة على التعلم المسـتمر واكتسـاب مهارات جديدة، ولكن خالد كان يدرك أن الإسـتراتيجيات وحدها ليسـت كافيـة، ولذلـك ركز على تطوير المهارات القياديـة داخل فريقه، فقد كان يؤمـن بأن القائد الحقيقـي ليس من يعطي الأوامر، بل من يلهم فريقـه ويحفزه على تحقيق الأفضل. وبناءً على ذلك، نظم ورش عمل لتعليـم مهارات القيادة، مثل حل المشـكلات واتخاذ القرارات تحت الضغط، كما شجع فريقه على تبادل الأدوار لفهم تحديات القيادة من زوايا مختلفة، فكان دائمًا يردد: «القيادة ليست منصبًا، بل مسؤولية».

كان خالد أيضًا حريصًا على إعطاء مساحة لأعضاء فريقه للتعبير

عن آرائهم، إذ أدرك أن الاستماع الجيد هو مفتاح القيادة الناجحة، فكان يسألهم دائمًا: «ما رؤيتكم؟ كيف يمكننا تحسين أدائنا؟».

وهكذا، عمل على خلق بيئة عمل محفزة للإبداع والابتكار، وأولى خالد اهتمامًا خاصًّا بالابتكار، حيث اعتبره العمود الفقري لأي نجاح مستدام، فبدأ بتغيير تصميم مكاتب العمل، مضيفًا مساحات مفتوحة تشجع على التواصل والتعاون، كما خصص وقتًا أسبوعيًّا لطرح الأفكار الجديدة؛ ما أتاح للجميع، بغض النظر عن مناصبهم، فرصة لتقديم اقتراحاتهم، إذ بدأت الأفكار المبتكرة تتدفق بفضل هذه الخطوات، فبعضها كان بسيطًا لكنه أحدث فرقًا كبيرًا؛ مثل تعديل آلية توزيع المهام لتصبح أكثر مرونة، وبعضها كان جريئًا؛ مثل اقتراح إطلاق منتجات جديدة أو تغيير إستراتيجية التسويق. وفي خلال هذه الأشهر، تعلم خالد دروسًا قيمة، إذ أدرك أن النجاح المستدام ليس شيئًا يُحقق بين ليلة وضحاها، بل عملية مستمرة من التعلم والتطوير، فكان دائمًا يردد لفريقه: «لا تخافوا من الفشل، فهو معلمنا الأول، بل تعلموا منه، ثم قوموا بتحسين أنفسكم».

وفي النهاية، توصل خالد إلى أن النجاح المستدام هو بناء ثقافة تحترم الجهد الجماعي، وتعزز الابتكار، وتدعم التعلم المستمر، فعندما يعمل الفريق وفق هذه القيم، لا يصبح النجاح مجرد إنجاز، بل أسلوب حياة.

سر النجاح من طاولة الغداء

في يـوم مشـمس مـن أيـام مملكتنا الجميلـة، حيث ينسـاب ضوء الشمس ليعانق بحرها الزاخر بالحياة، ويشع بريق المدن العريقة التي تجسد مزيجًا رائعًا بين عبق الماضي وروح العصر، كانت مدينة المحرق بأزقتها العتيقة وسـاحلها البديع تشـهد لحظة فارقـة في رحلة نجاح ذلك القائد الذي لا يستسـلم أبدًا، فتلك الجزيرة التي تتميز بتنوعها الثقافي، حيث يتناغم القديم مع الجديد، كانت هي المكان المثالي لهذا اللقـاء المميـز في هـذه الأجواء، حيـث تتناغم روائح البحـر والهواء الطلـق، فقـد قرر خالد أن يجمـع فريقه في غداء عمـل غير تقليدي، سعيًا لإلهامهم ومشاركة تجربته الشخصية، التي كانت محط اهتمامهم.

طاولـة مسـتديرة في مطعم فاخر كانت شـاهدة عـلى هذا اللقاء، حيـث قرر خالد دعوة رؤسـاء فرق العمل إلى غـداء عمل مميز، فقد وقـع اختياره عـلى أحد المطاعـم الراقية فكانـت بمثابة نقطـة التقاء للجميـع من مختلف مجـالات الحياة العملية، فكان خالد يسـعى من خلال هذا اللقاء إلى تكريم فريقه الذين ساهموا بجهودهم في تطوير العمل وتحقيق النجاحات التي تفخر بها الشركة.

كان الحضـور مميزًا، وضمت الطاولة كلًّا من: فهد محمد، رئيس قسـم المبيعات الميدانية، علي يوسـف، مسـؤول المبيعـات الداخلية، مريم حسـن، مديـرة التسـويق الرقمي، سـليمان عبد الله، مسـؤول العلاقات مع العملاء، حسـن عـلي، نائب رئيس المبيعات الداخلية، وسارة منصور، سكرتيرة خالد المخلصة التي أشرفت على تنظيم كل تفاصيل الاجتماع، فاختيار خالد للمطعم لم يكن عشوائيًّا؛ المكان كان هادئًا وفاخرًا، يضفي شـعورًا بالاسـترخاء، ويقدم أطباقًا فريدة من نوعها في المدينة، حيث جلس الجميع حول طاولة مستديرة، وسادت الأحاديث الودية بينهم، في جو من التعاون والاحترام المتبادل، فقد كان خالد يعلم أهمية خلق بيئة مريحة تُشجع على تبادل الأفكار بحرية، وكان كل فـرد مـن الحاضرين يشـعر بأهمية وجوده ضمـن الفريق.

ووسـط هـذه الأحاديث، وجه سـليمان عبـد الله سـؤالًا مفاجئًا لخالد، كسر سكون اللحظة، فقال:

«أستاذ خالد، ما هو سر نجاحك الذي جعلك مديرًا متميزًا عن أي مدير آخر قد عاصرناه؟».

كان السؤال بسيطًا في ظاهره، لكنه حمل بين طياته مشاعر الفضول والتقديـر، فقد قرر خالد، الذي يعرف أن نجاحه نتاج لعمل جماعي كبير، أن يشـاركهم تجربته الشـخصية ومشـواره المهني، فأخذ نفسًا عميقًا، ثم ابتسم وأجابهم قائلًا:

«في بداية مسيرتي المهنية، التحقت بإحدى الشركات، وكان مديري هناك صينيًّا حكيمًا، لم يكن مجرد مدير عادي، بل كان معلمًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فكان يؤمن بأهمية توثيق كل خطوة، وكل مشكلة تُحل، ويعتبر أن هذا التوثيق هو بمنزلة مكتبة معرفية لنا جميعًا».

ثم تابع:

«في البداية، كنت أستغرب كثافة التفاصيل التي كان يطلب توثيقها، لكنني مع الوقت أدركت أنها كانت المفتاح لتجاوز التحديات المستقبلية، وعندما أصبحت مديرًا، أدركت أن هذا النهج لا يقتصر على حل المشكلات فقط، بل يمتد إلى استغلال الفرص الجديدة».

ثم أضاف:

«التوثيق لم يكن مجرد إجراء إداري بالنسبة لي، بل أصبح أسلوب حياة. ومع ذلك، تعلمت أن القيادة الحقيقية ليست في إدارة المهام فقط، بل في تعليم الآخرين وتنميتهم، فالنجاح الحقيقي يأتي من بناء فريق قوي يعمل بتعاون وإبداع لتحقيق أهداف مشتركة».

استرجع خالد ذكرياته، وشاركهم قصة من بدايات مسيرته المهنية، عندما كان يعمل مع زميلِ عملٍ عنيد، كبير في السن وله نفوذه داخل الشركة. لم يكن هذا الزميل يتقبل التوجيهات بسهولة؛ ما جعل التعاون معه تحديًا كبيرًا.

قـرر مديـره الصينـي آنـذاك أن يتعامل مـع الموقـف بطريقة غير مبـاشرة، بدلًا من المواجهة أو التوبيخ، فاختار أن يوقف تكليفه بأي مهام. في البداية، بدا الزميل غير مكترث، وربما اعتبر الأمر راحة من المسـؤوليات. لكن مع مـرور الأيام، بدأ يشـعر بالتهميش والعزلة، وكأن وجوده أصبح بلا قيمة داخل الفريق.

بعد فترة، لم يستطع الزميل تحمل هذا الإحساس المؤلم بالتجاهل، فتوجه إلى المدير وقدم اعتذاره، طالبًا إعادة الثقة إليه.

قـال خالـد: "كانت هـذه الحادثـة درسًـا مهـمًّا لي، إذ أدركت أن التهميـش والشـعور بعـدم الحاجة يمكـن أن يكونا أكثـر تأثيرًا على الشخص من أي عقوبة مباشرة".

ثم تابع خالد حديثه، مسـتذكرًا اللحظـة التي علم فيها أن مديره الحكيـم سـيغادر منصبـه، وبـدأت في داخله رغبـة قوية لتـولي هذا الـدور. لكن مديـره، ببصيرته وخبرتـه، منحه درسًـا آخر في الصبر عندما قال له يومًا:

"لا تسـتعجل المناصـب؛ قـد تحتاج إلى خمس سـنوات لتكتسـب المهارات التي تؤهلك للإدارة".

كانت تلك الكلمات بمثابة نقطة تحول في حياة خالد. أدرك حينها أن النجـاح لا يُقـاس فقط بالطموح والرغبة، بـل يتطلب رحلة من التعلم، والتطوير المستمر، والتأني لاكتساب الخبرات التي تجعل منه قائدًا حقيقيًّا.

ثم علقت مريم حسن، والتي كانت تستمع بانبهار، قائلة:

"بالتأكيد كنت موظفًا مجتهدًا ومميزًا!".

فابتسم خالد وأكد:

"لم أكن مثاليًّا، لكنني كنت دائم السعي نحو المثالية، أذكر يومًا ارتكبت فيه خطأً جسيمًا بسبب سرعتي، لكن مديري لم يوبخني، فبدلًا من ذلك، طلب مني البقاء لإصلاح الخطأ، ثم قال لي ببساطة: لا تكرر ذلك".

سرد خالد هذه القصة ليبين أهمية الهدوء والحكمة في القيادة، وكيف أن الأزمات قد تكون فرصة للتعلم والنمو، وكان الجميع منبهرين بحديث خالد، الذي ختم قائلًا:

"القائد الجيد هو من يزرع ثقافة التعلم في فريقه، فالنجاح ليس نجاحًا فرديًّا؛ إنه نتاج تعاون وإبداع مشترك، فهذه هي الفلسفة التي أومن بها وأسعى لتطبيقها دائمًا".

ثم اختتم اللقاء وسط أجواء مفعمة بالحماس والإلهام، فكان يشعر بالرضا، ليس فقط عن نجاح اللقاء، ولكن عن الرؤية التي زرعها في فريقه على مر السنوات.

فذلك اليوم لم يكن مجرد غداء عمل عابر، بل كان لحظة توثيق جديدة في مشوار خالد، تضاف إلى المكتبة المعرفية التي قادت نجاحه، وقادت فريقه إلى الإيمان بفلسفة العمل المشترك والنمو المستمر.

مفاتيح الماضي

كان خالـد جالسًـا في هـدوء ذلـك اليـوم، يتأمل فنجـان القهوة بـين يديـه، عندما جاءت ليـلى، ابنته الصغيرة، ثم جلسـت بجواره، ورفعـت عينيها نحوه، ثم مالت برأسـها وقالت بصوت يحمل براءة الأطفال وفضولهم:

«أبي، هل كنت تحظى بأبوين رائعين مثلي؟».

فأخذه سـؤالها في رحلة بعيدة، رحلة إلى زمن طفولته الذي يبدو وكأنه صفحة مطوية من كتاب قديم، فابتسم برفق وقال لها:

«نعم يا ليلى، كنت أحظى بأبوين ليس فقط مثلكِ، بل ربما أفضل ممـا تتصورين، فكانـا عالمي بـأسره، وكانت حياتي تـدور حولهما كما تدور النجوم حول القمر».

ثـم تأمل وجه ليلى الصغير المملوء بالدهشـة، وتابع حديثه وكأنه يتحدث لنفسه بقدر ما كان يتحدث لها:

«أمّي، يا ليلى، كانت سـيدة عظيمة بمعنـى الكلمة، لا أذكر يومًا أنها شـعرت بالتعب أو أنها اشتكت من شيء، رغم أن حياتها لم تكن

سـهلة، فكانت تسـتيقظ مع أول خيوط الشـمس، وكأنها الشـمس نفسـها التي تُنير يومنا، تُعدّ لنا الفطور بحب لا يمكن وصفه؛ فكل لقمة كانت تحمل دعاءً لنا بالسعادة والخير.

كانـت أمي تمتلك موهبة فريدة: قدرتها على جعل كل من يقترب منها يشعر وكأنه جزء من عائلتها. لم يكن بيتنا مجرد منزل؛ كان محطة سـلام لـكل من يحتاج إلى مأوى أو كلمة طيبـة. أصدقاؤنا، جيراننا، وأقرباؤنـا، وحتـى الغربـاء، كانـوا يجـدون في أمـي السـكينة التـي يفتقدونها.

كانـت تصلـح بين النـاس إذا وقع خلاف، وتنصح أي شـخص يحتـاج إلى التوجيـه بحكمة ورفق. إذا رأت شـابًّا مدخنًا، لم تتردد في نصحـه بإخلاص، وإذا رأت شـخصًا مميـزًا، افتخرت به وشـجعته ليواصـل طريقه. أمي لم تكن فقط أمًّا لنا، بل كانت شـعاع أمل لكل من عبر طريقها، تنشر الخير والتفاؤل أينما ذهبت».

ثـم أخذ نفسًـا عميقًا وتذكر كيف كان تجمعهـم حولها كأنها قمرٌ يلمع في سماء مظلمة وقال:

«كانـت تُحب الحياة يا ليلى، وتُعلمنـا كيف نُحبها، فلم تكن امرأة متعلمـة كما هي الحال اليوم، لكنها كانت تمتلك حكمة لا تجدينها في الكتب، فكانت تقول دائمًا إن السعادة تُخلق في القلوب قبل أن تظهر على الوجوه، وإن العطاء هو مفتاح كل شيء جميل».

شعرت ليلى بالفضول أكثر وقالت بابتسامتها البريئة:

«وماذا عن جدّي؟ كيف كان؟».

فابتسم خالد، وقال لها بنبرة ملؤها الاحترام والاعتزاز:

«كان أبي رجلًا نادرًا بكل معنى الكلمة، فلم يكن غنيًّا ولا صاحب منصب كبير، لكنه كان غنيًّا بما هو أعظم؛ بإرادته وقلبه الكبير، فكان يستيقظ قبل شروق الشمس، يرتدي ملابسه البسيطة، ويخرج إلى عمله في أحد المصانع، عمله كان شاقًّا ومُرهقًا، لكنه لم يشتكِ يومًا، أتذكر أنه كان يعود كل مساء متعبًا، وكنت أُراقب عينيه؛ كان التعب ظاهرًا فيهما، لكن قلبه لم يكن يومًا مُرهقًا، كان يجلس معنا على تلك الطاولة الخشبية الصغيرة، يستمع إلى أحداث يومنا، يُشجعنا بكلمات قليلة، لكنها تحمل معاني عظيمة».

لم يستطع خالد أن يُخفي شوقه وهو يملأ قلبه، فتابع وكأنه يعيش تلك اللحظات من جديد:

«كان يقول لي دائمًا: (الحياة يا خالد مثل البحر، أحيانًا هادئ، وأحيانًا عاصف، لكن الأهم أن نتعلم كيف نُبحر فيه من دون أن نغرق). كان يأخذنا إلى البحر كلما سنحت له الفرصة، رغم ضيق الحال.. هناك، كنا نصنع أشكالًا من الرمال، ونضحك على محاولاتنا الطفولية، فكانت تلك اللحظات تجعلنا نشعر وكأننا أغنى عائلة في العالم».

رفعت ليلى عينيها وقالت بحماس:

«يبدو أنهما كانا رائعين يا أبي، فهل تشتاق إلى جدي رحمه الله؟».

شعر خالد بغصة في حلقه، وقال لها بصوت خافت:

«الاشتياق يا ليلى لا يفارقني.. أشتاق إلى أبي في كل يوم وفي كل لحظة، أراه فيكِ وفي شقيقكِ أحمد، وأراه في كل شيء جميل أفعله أو أراه، فكانت حياته بسيطة، لكن أثره في حياتي لا يمكن أن يُنسى، فلقد علمني معنى الحب الحقيقي، معنى التضحية، ومعنى أن يكون الإنسان هو الأصل».

ثم وضعت ليلى يدها الصغيرة على يدي أبيها، وقالت بحنان:

«أحب أن أسمع عن جدّي وجدّتي يا أبي، احكِ لي المزيد عنهما».

ابتسم خالد لحماس ابنته التي لم تكتفِ بما قاله وتريد المزيد من تلك الذكريات الدافئة، وقال لها:

«سأحكي لكِ يا أميرتي الجميلة، سأحكي كل شيء، فهذه القصص ليست مجرد ذكريات؛ هي جزء من هويتنا، من ماضينا الذي يحملنا نحو المستقبل، سأرويها لكِ يومًا بيوم، حتى تعرفي كم كانا رائعين، وكم نحن محظوظون لأننا نحمل جزءًا من روحهما».

فتابع حديثه وهو يتأمل الماضي كأنه يُعرض أمامه كشريط سينمائي:

«أتذكـر يا ليلى كيف كانت أمّي تُصرّ عـلى أن نتناول وجباتنا معًا كعائلـة، حتى لـو كان الطعام بسـيطًا، فـكان اجتماعنا حـول المائدة يُضفي عـلى البيت دفئًا لا يُوصف، كانت تُعاملنـا كأننا أصدقاء لها، تستمع إلى مشـاكلنا الصغيرة وكأنها قضايا كبرى، وحين كان أحدنا يمرض، كانت تتحول إلى طبيبة من دون شهادة، تعرف كيف تعتني بنا وكأنها تمتلك أسرار العلاج التي لا يعرفها أحد».

نظرت ليلى نحو والدها بدهشة وسألت:

«هل كانت جدتي تعرف الطب؟».

ضحك خالد وقال:

«لم تكن طبيبة، لكنها كانت تعرف كيف تُداوي قلوبنا وأجسادنا، فكانـت تقول دائمًا إن الأم هي طبيب الأسرة الأول، وإن الحنان هو أول دواء يجب أن يُعطى لأي مريض».

ثم صمت قليلًا قبل أن يواصل الحديث عن والده:

«أمـا أبي، فكان رجلًا قليـل الكلام، لكن أفعالـه كانت تتحدث بصـوت أعلى مـن أي كلمات. لم أكن ألاحظ الكثـير من تصرفاته في صغـري، لكـن مع مـرور الوقت، ومـع حديث أمـي لاحقًا، بدأت أرى التفاصيل بوضوح. في أيام الشـدة، عندما كان الطعام لا يكفي الجميـع، كان أبي يبطئ أكله ويتناول القليل فقط، حتى نشـبع نحن.

كنت أظن حينها أن هذا أسلوبه المعتاد في الأكل، لكن أمي أخبرتني لاحقًا أنه كان يفعل ذلك عن قصد، ليضمن لنا نصيبًا كافيًا.

كانـت تلك الأفعال الصغيرة التي لم يتحدث عنها أبدًا، تحمل في طياتها معنى عميقًا عـن التضحية والحب غير المشروط. لقد علمني مـن خلال أفعاله أن القائد الحقيقي، سـواء في البيت أو خارجه، هو من يُقدّم الآخرين على نفسه، من دون أن ينتظر شكرًا أو تقديرًا».

فبدت ليلى متأثرة جدًّا بكلمات أبيها، وقالت بحزن:

«كان جدّي رحمة الله عليه طيبًا جدًّا، أليس كذلك؟».

فأجابها وهو يحاول كتمان دموعه:

«نعـم يا ليـلى، كان طيبًا لدرجة أنكِ لو قابلته لوقعتِ في حبه على الفور، فكان يُعلمنا أن الكرامة والشرف أهم من كل شيء، وأن المال قد يأتي ويذهب، لكن الأخلاق هي ما يبقى».

فاسترسل في الحديث وكأنه يعيش تلك اللحظات مجددًا:

«أتذكـر والـدي الذي كـرّس حياته مـن أجلنا، عامـلًا في شركة (بابكـو) للنفـط. كان يخـرج مـن المنزل قبـل طلوع الفجـر، للحاق ببـاص العمال الذي ينقلهـم إلى مواقع العمل. يعـود إلى البيت قبيل المغـرب، مرهقًـا ومنهكًا من يوم طويل وشـاق، لكنـه دائمًا يحمل في عينيه نظرة الاطمئنان والرضا.

والدي لم يكن يتذمر يومًا، رغم أنه حرم نفسه من ملذات الحياة ليضمن لنا العيش الكريم. كان يعمل بصمت، يضع رفاهيتنا فوق راحته، وكأن جهده وتعبه هما عربون محبته لنا. لقد علمني من خلال أفعاله أن التضحية الحقيقية لا تُقال، بل تُعاش، وأن القيم تُبنى بالأفعال قبل الكلمات».

ابتسمت ليلى وقالت بحماسة:

«وأنت يا أبي، هل تعلمت من جدّي وجدّتي؟».

ضحك وقال لها:

«بالطبع يا ليلى، فما أنا عليه اليوم هو بفضلهم، حيث تعلمت من أمي كيف أكون رحيمًا ومحبًا للناس، وتعلمت من أبي أن أكون قويًّا وصبورًا مهما واجهت من صعاب، لقد تركا لي ميراثًا لا يُقدر بثمن، وهو القيم والمبادئ التي أعيش بها الآن».

فسألت مجددًا وبنبرة شغف:

«ما الذي تفتقده أكثر يا أبي؟».

فشعر خالد بدمعة تتسلل إلى عينيه، فمسحها بسرعة وقال:

«أفتقد صوت أبي وهو يُرتب صندوق الأكل الذي يأخذه معه للعمل، وأشتاق حتى إلى صراخه وتأنيبه لنا، ذلك الصراخ الذي كان دائمًا من أجل مصلحتنا. أفتقد أحاديثه البسيطة، وضحكاته

التي كانت تملأ البيت حياة، رغم تعبه وإرهاقه.

لكنني أشعر بالامتنان لأن ذكرياته الجميلة ما زالت حاضرة في قلبي، وأنتِ يا ليلى وأحمد تمثلان امتدادًا لهذا الحب والحنان الذي زرعه هو وأمي، حفظها الله، فينا جميعًا. وجودكما يجعلني أرى أثره يعيش بيننا كل يوم».

سكتت ليلى لحظة، ثم قالت بابتسامة تُضيء وجهها الصغير:

«أعدك يا أبي أن أحافظ على كل ما حكيته لي، وسأكون مثلك ومثل جدّي وجدّتي، وسأُعلّم أبنائي عنهم وعنك يومًا ما».

فوضع خالد يده على كتفها وقال:

«هذا كل ما أريده يا ليلى، أن تبقى قصتهم حية في قلوبنا وفي قلوب من سيأتون بعدنا، فالحياة قصيرة، لكن الحب والقيم التي نزرعها تستمر للأبد».

أخذت ليلى تتأمل كلامه، بينما شعر هو بأنه أعاد إحياء ذكريات كان اعتقد أنها طُويت مع الزمن، إذ أدرك أن الحديث عن الماضي يُعيد له الحياة، ويُذكّرنا بجذورنا التي تُثبّت أقدامنا وسط دوامات الحياة، ثم قال بصوت مطمئن:

«أتعلمين يا ليلى، كان أبي صارمًا في تربيتنا، ولم يكن يتهاون مع الأخطاء. كنا نخشاه أحيانًا إذا أخطأنا، لا لأنه كان قاسيًا، بل لأننا

كنا ندرك أن توبيخه نابع من حرصه علينا.

أتذكّر يومَ كسَرنا الباب الزجاجي أثناء لعبنا. شعرنا برعب كبير من مواجهته، وتوقعنا أن يعاقبنا بشدة. لكن، على عكس عادته، لم يؤنبنا. بدلًا من ذلك، نظر إلينا بهدوء وقال: «الأشياء تُعوّض، لكن سلامتكما هي الأهم». كان هذا الموقف غريبًا بالنسبة إلينا، لكنه أظهر لنا جانبًا آخر من حنان أبي، الجانب الذي كان دائمًا يضعنا فوق كل شيء.

ورغم صرامته في أوقات كثيرة، كان حاضرًا دائمًا عندما نحتاج إليه. لم يكن يتردد في توفير ما نحتاج إليه للدراسة، حتى لو لم يكن يملك سوى القليل. وعندما جاء وقت زواجي، لم يكتفِ بتحمل تكاليفه بالكامل، بل أهداني دعمًا ماليًّا لأبدأ حياتي بثبات.

لقد كان أبي نموذجًا للحنان المسؤول، شخصًا يعلمنا من خلال أفعاله أن الحزم لا يعني غياب الحب، بل هو أحد أشكاله الأكثر إخلاصًا».

ضحكت ليلى وقالت:

«حمدًا لله أنه لم يكن موجودًا حين كسرتُ الكثير من الأكواب.. لكن يا أبي، ألا تعتقد أن جدّي كان صارمًا بعض الشيء؟».

هزَّ خالد رأسه مبتسمًا وقال:

«ربما كان يبدو كذلك، لكنه كان يفعل كل ذلك بدافع الحب

والخوف علينا، فكان يريدنا أن نكون أشخاصًا صالحين، يعرفون الحق ويتمسكون به».

ثم توقف قليلًا قبل أن يضيف:

«أمي، على الجانب الآخر، كانت تُكمل هذا التوازن، فكانت دائمًا تقول إن الكلمة الطيبة تُذيب الغضب وتُصلح القلوب، فكانت تُعلمنا أن نُسامح ولا نحمل في قلوبنا أي ضغينة، أتذكر مرة، عندما تشاجرت مع أحد أصدقائي في المدرسة، قالت لي: (يا خالد، الحقد يأكل صاحبه قبل أن يؤذي غيره، فاذهب واعتذر، حتى لو لم تكن أنت المخطئ، فالاعتذار قوة لا ضعف). نفذت نصيحتها، وصدقيني يا ليلى، هذا الصديق أصبح أقرب أصدقائي لسنوات».

فسألت ليلى بنبرة طفولية بريئة:

«وأنا يا أبي، هل تراني مثل جدّتي؟».

فضحك خالد من قلبه وقال:

«أنت تشبهينها كثيرًا، يا ليلى، فلديكِ قلب طيب وروح اجتماعية، وعندما أراكِ تستقبلين أصدقاءك وتضحكين معهم أتذكّرها، فهي كانت تفعل الشيء نفسه، فكان بيتنا دائمًا مليئًا بالناس، بفضلها.. كانت تعتقد أن البيت الذي لا يدخل إليه الضيوف بيت بلا حياة».

ثم أخذ نفسًا عميقًا وأكمل:

«كانت أمي مثالًا حقيقيًّا للطموح والإصرار، حتى في الظروف التي لم تكن سهلة. كانت تؤمن بقوة التعليم، ليس فقط كوسيلة للمعرفة، بل كبابٍ يفتح الفرص ويغير حياة الإنسان. رغم أنها لم تتمكن من إكمال تعليمها، إلا أنها التحقت بفصول محو الأمية في المراحل الأولى، وكان ذلك بالنسبة لها إنجازًا كبيرًا في وقتها.

كانت تشجعنا دائمًا على الاجتهاد في التعليم، وتقول لي بحماس: (اللي ما تزينه جدوده تزينه خدوده). هذا المثل البحريني كان يحمل رسالة واضحة: الاعتماد على النفس والسعي للتميز بالعمل والاجتهاد، وليس فقط بالاعتماد على أصولنا أو أجدادنا. كانت كلماتها تذكرني بالمثل الذي يقول: (ليس الفتى من قال هذا أبي، ولكن الفتى من قال هأنذا).

أمي لم تكن فقط تشجعنا بالكلمات، بل كانت قدوة حقيقية. كانت تحثنا على المثابرة، تقول لي دائمًا: (العلم هو الشيء الوحيد الذي لا أحد يستطيع أن يأخذه منك. اجتهد اليوم لتبني غدًا أفضل). تلك الكلمات ظلت محفورة في ذهني، وكانت دافعًا لي في كل خطوة أخذتها نحو تحقيق أحلامي».

توقف خالد قليلًا وابتسم، بينما كانت ليلى تنظر إليه باهتمام بالغ، فشعرت بأنه يُعيد تعريفها بجذورها، وخصوصًا بجدها الذي لم تسنح لها الفرصة لتتعرف عليه بشكل مباشر، فتابع الحديث وكأنه

يتحدث إلى نفسه أكثر مما يتحدث إليها:

«كان أبي رجلًا قليل الكلام، لكن أفعاله كانت أبلغ من أي كلمات. كان يضع العائلة فوق كل شيء، وكأن لسان حاله يقول: (العائلة هي السند الحقيقي في الحياة. يمكنك أن تخسر المال أو الوظيفة، لكن العائلة هي ما يمنحك القوة لتنهض من جديد).

هذه القناعة لم يكن يعبّر عنها بالكلمات، لكنها كانت حاضرة في كل تصرفاته. كلما رأيته يعمل بجد أو يتنازل عن راحته من أجلنا، كنت أشعر برسالته التي تقول لي: (العائلة تأتي أولًا).

كلما واجهت تحديًا في حياتي، كنت أسترجع صورته وهو يعمل بلا كلل ليمنحنا الاستقرار، فأتمسك بكم أكثر يا ليلى، أنتِ وأحمد وأمي، فأنتم الامتداد الحقيقي لتلك القيم التي زرعها فينا أبي بصمته المليء بالمعاني".

ثم توقف لوهلة وكأنه يسترجع ذكرى بعيدة:

"أمي كانت تقول إن الأبناء هم امتداد حياة الآباء، فكانت تعتقد أن أفضل ما يمكن أن يُقدمه الإنسان في حياته هو جيل جديد يحمل القيم والمبادئ التي نشأ عليها، لذا عندما أرى فيكِ حبكِ للحياة وحبكِ لعائلتكِ، أشعر بأنني أحقق ما كانوا يأملونه".

نظرت ليلى نحوه وقالت بابتسامة دافئة:

"شـكرًا يا أبي على كل هذه الحكايات، أشعر وكأنني تعرفتُ على جدّي وجدّتي من خلالك، سـأحكي هذه القصص لأبنائي يومًا ما، وسأخبرهم عن جدّهم خالد الذي كان يحكي لنا عن جذورنا بحب وحنان".

فابتسـم خالد وهو ينظر إليها، وشـعر بدفء يغمـر قلبه، وأدرك أن الحكايـات ليسـت مجـرد ذكريـات تُـروى، بل هي جسـور تربط الأجيال ببعضها، فمن خلالها تبقي جذورنا حية في قلوبنا مهما تقدم بنا الزمن.

انتهت الجلسة بنظرة تأمل وابتسامة مليئة بالحب، بينما كانت ليلى تجلس بجوار والدها، وكأنها تحمل إرث العائلة بين يديها الصغيرة.

ذكريات حزينة على ورقة

كان اليوم من أجمل الأيام في مكتب خالد، حيث كان الجو هادئًا، والشمس تشرق من خلف نافذة المكتب، وكأنها تضيء له الطريق، فكان يجلس أمامه علي يوسف، مسؤول المبيعات الداخلية، يشرح له آخر البيانات المتعلقة بالمبيعات، وكانت النتائج مُذهلة، فقد أدخلت السرور على قلب خالد، حتى إن بعض النكات كانت تتبادل بينهما في جو من المرح، إذ قال خالد ضاحكًا:

«أنت يا علي، مع هذه الأرقام، ستكون وزير الاقتصاد في المستقبل!».

فرد عليه عليٌّ: «إذا كانت الأرقام هذه تعني زيادة في العمولات، فأنا موافق!». ثم ضحك هو الآخر.

وفي تلك اللحظات، كان خالد يشعر بأن كل شيء على ما يرام. ولكن في لحظة عابرة، شعر بشيء غريب، عندما أدخل يده داخل درج المكتب لكي يُحضر ورقة ليكتب عليها بعض الملاحظات التي لابد أن ينتبه لها علي في تقريره المقبل، وكأن يده قد اصطدمت

بـشيء قد حرك مشـاعره، شيء وكأنـه جزء من قلبه هنـا داخل هذا الـدرج، ففتح الدرج حتى نهايته، وبـدأ يتفحص تلك الأوراق التي تراكمت بداخله باحثًا عن شيء لا يعلمه، وفجأة سـقطت ورقة من بـين تلـك الأوراق المبعثرة التي أخرجها مـن درج مكتبه، وكأنها قد اختبـأت بينهـا في انتظار اللحظة المناسـبة لكي تظهر لـه، فنظر إليها وقد تغير كل شيء، فاختفت تلك الابتسـامة التي كانت تُنير وجهه، وأصبحـت عيناه غائمة بالدموع، وانتابه الصمت الذي أقلق نفسـه قبل أن يُقلق عليًّا الذي كان يجلس أمامه.

كانت الورقة تحمل خربشـات صغيرة وغير منتظمة، وكأن هناك شـيئًا غير معتاد في هذه الرسـومات؛ إنها خربشـات رحمة ابنته، التي خطفهـا الموت من بـين أحضانه، فهي التي كانت دائمًا تلهو بجواره، وهـو يعمل وسـط الكثـير من الدفاتـر والأوراق، فكانـت تتقمص شـخصيته في بعـض الأحيـان، وتمسـك القلـم وكأنها تكتـب مثله، ولكنهـا تفسـد بعض أوراقه المهمـة من دون أن تـدري؛ ما كان يثير غضب والدها في بعض الأحيان.

لم يكن قد رأى هذه الورقة منذ سـنوات، كانت تحمل الكثير من الذكريات، فعندما نظر إليها شـعر وكأن الزمن قد عاد به إلى الوراء، فتلك الخربشـات التـي كانت تزعجه ويغتاظ منهـا، رغم أنها كانت تعبـيرًا عـن براءة طفلة، أصبحـت الآن تثير في قلبـه ذكريات حزينة وتعتبر أهم الذكريات، وعلى الرغم من أنه كان سعيدًا قبل لحظة، فإن

هـذه الورقة كفيلة بأن تجعله حزينًا بقيـة يومه، فقد تذكر كل شيء.. كل شيء قد فقده، وكأنه يشـعر بشيء ثقيل في صدره، وكأن سـحابة من الحزن قد غطته، فحاول أن يتماسـك، لكن دمعة قد تسـللت من عينـه، وقد لاحظ ذلك علي يوسـف الذي كان يجلس مُندهشًـا منذ البدايـة، فوقف بسرعـة واقترب منه وقال بصـوت منخفض: «ماذا حدث، أستاذ خالد؟ ما الذي في هذه الورقة ليجعلك هكذا؟».

فأشـار لـه بيديه أن يجلـس مكانه، ثـم قال بصـوت متهدج: "لا شيء، اجلس في مكانك يا علي.. سأكتب لك ملاحظاتي الآن".

ولكن علي يوسـف، الذي اعتاد على رؤيته قويًّا، شـعر بشيء غير طبيعـي، لا يمكنـه أن يفهم ما الـذي جعله يبدو هكـذا، فهو يعرفه بالرجـل الـذي لا يتأثـر بسـهولة، ولكنه تراجـع إلى مكانـه بهدوء، واحتفظ بشعوره غير المُريح في قلبه منعًا من إحراج مديره.

أمسـك خالد القلم لكي يكتب ملاحظاته لعلي، ولكن عقله كان مشوشًا فلم يستطع الكتابة، وكأن فكره كان محاصرًا بتلك اللحظات التـي عادت إليه فجأة، مع تلك الورقـة الصغيرة والتي كانت تحمل جـزءًا من الماضي، فكان يحاول أن يتماسـك ولكـن الذكريات كانت أقـوى مـن أي شيء آخـر، فأغمض عينيـه للحظـة، وكأن الزمن قد أعـاده إلى تلـك الأيام التـي كانت فيها رحمة بين يديـه، طفلة صغيرة تفيض بالحياة والفرح، فشعر بغصة في صدره، ثم أكمل حديثه الذي

قد أوقفه منذ قليل، وبصوت مثقل بالدموع قال:

"عندما علمت بمرضها، كأن الأرض انشقت وابتلعتني.. قال الأطباء إن حالتها صعبة، وإن حياتها قد لا تطول.. في البداية رفضت التصديق، فكنت أقنع نفسي بأن هذه مجرد مبالغات... كيف يمكن أن يحدث ذلك لرحمة؟ كنت أقول: رحمة قوية، ستتغلب على كل شيء، ولكن عندما جاء الطبيب في ذلك اليوم وأخبرني أن ابنتي قد لا تعيش أكثر من عام ونصف العام، شعرت وكأنني أفقد روحي.. الكلمات كانت أشبه بسكين يقطع قلبي.. رجعنا أنا وزوجتي ونحن نبكي في طريق العودة، كنت تائهًا، غارقًا في بحر من الحزن والإنكار. لكن رحمة من الله وبتقديره عاشت ١٤ سنة؛ ما زاد من تعلقنا بها".

ثم رفع يده ومسح دموعه التي لم يستطع السيطرة عليها وتابع:

"عندما عدت إلى العمل في الأسبوع الذي تلا وفاتها، حاولت الهروب من الواقع بالانغماس في العمل، في الأوراق، في الاجتماعات. ولكن الليل... الليل كان قاسيًا، كنت أسمع صوتها وهي تناديني، أرى وجهها البريء في كل زاوية، صورها في المستشفى كانت تلاحقني، وهي تحاول أن تبتسم رغم الألم، كانت قوتها أكبر من قوتي".

توقف لوهلة، وأخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر إلى سقف الغرفة، وكأنه يرى كل شيء مضى أمامه، ثم قال:

"زوجتي كانت القلب النابض لنا جميعًا، تحمل بين يديها رحمة

لا حـدود لها، كانت تحمل رحمة بين يديهـا، تبحث عن أمل في عيون الأطبـاء، تنتقل بها من مشـفى إلى آخر، وأنا كنت أسـتأذن من عملي مـرارًا لأكون بجانبها، فكنت أضع العمل خلفي، لأنني أدركت أن كل لحظة مع رحمة هي حياة كاملة لا يمكن تعويضها".

ثـم عـاد ينظـر إلى تلك الورقـة التـي أمامه عـلى المكتـب، وقال بابتسامة حزينة:

"هـذه الورقة... أتذكر يوم كتبت عليها رحمة شـخابيطها البريئة وغضبت منها وقتها، فضربـت يدها كنوع من التأنيب، لعدم تكرار الخطـأ، ولم أدرك حينهـا أن هـذه الشـخابيط سـتصبح أغلى شيء في حيـاتي. فاليـوم، هذه الورقـة تمثل كل ما بقـي لي منهـا، وتمثل حبها وبراءتهـا، وتذكرني بأنني كنت أبًـا ربما لم يكن مثاليًّا، لكنني حاولت بكل جهدي أن أكون لها كل شيء".

صمت للحظة، ثم أكمل بصوت متهدج:

"فقـدت رحمة وهي في الرابعة عشرة مـن عمرها. كنت في مؤتمر عمـل عندما تلقيـت اتصالًا هاتفيًّـا من زوجتي. رغـم الحزن الذي كان يملأ صوتها، كانت ثابتة بشـكل يفوق الوصف. قبل أن تخبرني بالخـبر، قالت بهدوء: (أنـت مؤمن بالله، وتعلـم أن كل شيء بيده). كانت كلماتها تلك بمنزلة دعم لي في مواجهة ثقل اللحظة.

طلبـت منهم تأخـير دفنها حتـى أتمكن من اللحاق بهـا. وعندما

وصلت إليها، رأيتها للمرة الأخيرة قبل أن تُغسل. لم أتمالك نفسي، بكيت بحرقة، واحتضنتها. بدأت أقبّل يديها ورأسها وقدميها، وأشم عطرها الذي شعرت وكأنه يحيي ذكرياتها في داخلي. تلك اللحظات كانت أصعب ما مررت به، لكنها كانت أيضًا توديعي الأخير لها، الذي لن أنساه أبدًا.

رحمة لم تغادرني أبدًا؛ ما زالت روحها حية في داخلي، وكل ذكرى معها تجعلني أتمسك بها أكثر. ستظل دائمًا جزءًا من كياني، ومصدر قوتي في مواجهة الحياة".

ثم رفع الورقة بين يديه، وقال بهمس:

"هذه الورقة... هذه الشخابيط... هي رسالتها لي.. هي دليل على حبها الذي لا يموت مهما ابتعدت الأيام، ستظل رحمة معي، في قلبي إلى الأبد".

كان علي يوسف يستمع، من دون مقاطعة، إلى ذلك الأب الحزين، وعيناه تدمعان، شعر بأنه أمام أعظم أب في الدنيا كما هو أعظم مدير مرّ عليه، وحاول مشاركته ببعض من الكلمات الطيبة التي لطفت الجو وجعلته يشعر أنه بجانبه كصديق قبل أن يكون موظفًا تحت قيادته، فتلك التجربة قد قربت بينهما أكثر وأكثر، وقد أسعدت خالدًا الذي شعر بأن ابنته التي لم يحظ بتوديعها قبل دفنها تراقبه، وتنشر حبَّها حوله دائمًا.

نافذة على الرحلة

كان الصباح هادئًا على غير العادة، والضوء الخافت يتسلل عبر نافذة مكتب خالد؛ ليعكس ظلالًا طويلة على الأوراق المتناثرة فوق سطح المكتب، جلس خالد على مقعده الجلدي الذي رافقه منذ سنوات طويلة من العمل، مليئة بالتحديات والإنجازات، وأمامه ملف مفتوح، يحمل بين دفتيه تقارير وملاحظات عن الفريق الذي اعتبره امتدادًا له.. تنهد بعمق، وكأنه يحاول استيعاب كل تلك اللحظات التي خطها الزمن بحبر التجربة.

شعر خالد بمزيج متناقض من الحنين والفخر والتوتر: فالحنينُ يأخذه إلى البدايات وإلى ذلك اليوم الأول الذي وطئت فيه قدماه هذا المكتب، محملًا بالأحلام والتطلعات، والفخرُ بما أصبح عليه الفريق، وكيف تحول كل فرد فيه إلى قصة نجاح بحد ذاته، أما التوتر فمن المستقبل، حيث الخطوات القادمة التي لا تزال مجهولة، لكنها بلا شك تحمل في طياتها تحديات جديدة.

جلس خالد يمرر يده على وجهه، وكأنه يمسح بقايا الإجهاد المتراكم من الأيام الماضية، ثم رفع عينيه نحو الصور المعلقة على

الحائط أمامه، فكل صورة كانت تحكي جزءًا من رحلته، فهذه صورة لفريقه أثناء احتفالهم بتحقيق هدف مستحيل، تذكره دائمًا بأن النجاح لا يُقاس فقط بالمهنة، بل بالعلاقات التي نبنيها بالحب والتقدير المتبادل بين الجميع، وأخرى لأسرته التي سعى دائمًا لإسعادهم كما كانوا يسعون أيضًا لإسعاده، لكن أكثر ما شده تلك الصورة القديمة، حيث كان يقف في أول يوم له كمدير، ونظرة الشباب التي كانت في عينيه، فكانت تحمل حماسًا كبيرًا، لكنه مغلف بشيء من الجهل عن حقيقة ما ينتظره، فابتسم بخفة، واستند إلى المقعد، وأغمض عينيه للحظة، وكأنه يحاول ترتيب أفكاره قبل أن يفتح ملف الذكريات، وكأن عقله يتحدث بصوتٍ واضح: «ما الذي تغير؟ كيف أصبحتُ خالدًا الذي أنا عليه اليوم؟».

لم يكن يبحث عن إجابة واحدة، لأن الرحلة لم تكن بسيطة، فالإدارة بالنسبة له لم تكن مجرد وظيفة، بل كانت أشبه برحلة صقل طويلة، فعندما بدأ كان يعتقد أن النجاح يُقاس بالأرقام وحدها أو بالتقارير التي تُظهر تحقيق الأهداف أو تجاوزها، فكان يظن أن الحزم والانضباط هما المفاتيح الوحيدة للقيادة، ولكن الحقيقة التي اكتشفها لاحقًا كانت أعظم من ذلك بكثير.

تذكر بوضوح أول الاجتماعات التي جمعته بفريقه.. كيف كان يتعامل معهم وكأنهم قطع شطرنج يجب أن تتحرك وفق خطته وحدها، فلم يكن يدرك حينها أن كل واحد منهم كان يحمل قصة،

وأن قصته كقائد لن تُكتب إلا بمزج حكاياته بحكاياتهم.

فعلي يوسف.. الذي يتذكره جيدًا.. ذلك الشاب الذي كان يخشى الحديث في الاجتماعات، أصبح اليوم رمزًا للإبداع في الفريق.

وسارة، التي كانت تبدو دومًا مترددة، الآن تقود مشروعًا كاملًا بثقة لا مثيل لها، فكل واحد منهم، بطريقته الخاصة، قد علمه درسًا عن القيادة، عن الإنسانية، وعن قيمة الإصغاء قبل الكلام.

لكن، لم يكن الأمر دائمًا ورديًّا، حيث كانت هناك لحظات شعر فيها وكأن العالم ينهار من حوله، أخطاء ارتكبها، قرارات لم تكن صائبة، وخلافات كادت تفكّك الفريق، ولكنه كان يعود إلى المنزل في بعض الليالي، يتساءل إن كان أهلًا لهذا الدور؟ وفي كل مرة كان يجد الإجابة في أعين فريقه، في روحهم التي لم تخذله أبدًا.

فتح خالد عينيه ببطء، وعاد للنظر إلى الملف أمامه، حيث الأرقام فيه تتحدث عن نجاحات، لكنه يعلم أن النجاح الحقيقي يكمن فيما لا يُكتب: في الروابط التي بناها الفريق، في الضحكات التي شاركوها وفي الثقة التي جعلت منهم جميعًا عائلة واحدة.

ثم وقف من مكانه، وتوجه نحو النافذة فنظر إلى الأفق، حيث بدأت الشمس تظهر من خلف الغيوم.. كان منظرًا يوحي بالتفاؤل، وكأنها رسالة بأن كل يوم يحمل فرصة جديدة، فقال لنفسه بصوت واثق: «الإدارة ليست هدفًا بحد ذاتها، بل هي وسيلة لنصبح أفضل،

لنساعد الآخرين على اكتشاف أفضل ما فيهم».

ثم عاد إلى مكتبه، وأغلق الملف، لكنه لم يغلق الكتاب، لأن القصة لم تنتهِ بعد، فهناك فصل جديد ينتظر أن يُكتب، مليء بالأمل والتحديات والفرص.. فرفع رأسه عندما سمع صوت الباب يُفتح.. فكان فريقه الذي ينتظره لعقد اجتماع آخر، فابتسم، وهو يعلم أن الرحلة معهم لا تزال في بدايتها.

«تمت بحمد الله»

دكتور أحمد بو هزاع

ـ خبير في التقنية والإبداع من مملكة البحرين.

ـ خبير ومحكم معتمد في التحكيم التجاري.

ـ يتمتع بخبرة مهنية تمتد لأكثر من ٢٨ سنة في مجالات: تقنية المعلومات، والاتصالات، وقطاعات المصارف، والاستثمار، والتأمين.

المؤهلات العلمية:

- بكالوريوس في علوم الحاسوب من جامعة البحرين.
- ماجستير العلوم المالية من جامعة ديسول بالمملكة المتحدة.
- ماجستير إدارة الأعمال من جامعة ويلز بالمملكة المتحدة.
- حاليًّا باحث دكتوراه في الابتكار من جامعة محمد الخامس.

الخبرات العملية:

ـ محكّم معتمد لدى محاكم البحرين ومركز التحكيم التجاري لدول التعاون الخليجي.

ـ خبير في مجالات الابتكار، وتقنية المعلومات، وريادة الأعمال، والبيئة، والعمل التقني والإبداعي.

_ محاضر دولي ومدرب معتمد قدم العديد من الدورات الإدارية وأوراق العمل العلمية.

_ عضو مجلس إدارة في عدد من الجمعيات والشركات المحلية والخليجية.

_ اختير ضمن قائمة "المئة شخصية عربية الأكثر تأثيرًا في مجال المسؤولية المجتمعية"، من قبل الشبكة الإقليمية للمسؤولية الاجتماعية.

_ حائز جائزة الشرق الأوسط لقادة المستقبل لأفضل قيادي في القطاع العام.

الكاتبة هويدا طه

- عضو اتحاد كتاب مصر.

- كاتبة وشاعرة مصرية أصدرت العديد من الروايات، من أبرزها:

- عنوان جهنم.
- عشقت جنيًّا.
- فئران شموس.

- نبضات ميتة.
- أبانوخ.
- حقاو خاسوت.
- فن إدارة المشاغبين.

– لها العديد من القصائد المنشورة في الجرائد والمواقع الإلكترونية.

– أجرت دراسات في مجال الصحة النفسية.

– محاضِرة في مجال التنمية البشرية.

الفهرس

مقدمة 5

فن إدارة المشاغبين 7

فكرٌ لا ينام 9

إجازة بلا منازع 13

ذكريات على أجنحة الليل 19

صباح المفاجآت والوداع 23

حديث النفس 29

قبل العاصة 33

في قلب الحدث 37

العاصفة الهادئة 41

حين تُشفى الأرواح بالإنسانية 45

حديث الليل 49

شبح الصراعات الداخلية 53

في أسواق التوتر والخفايا 57

شباك الفتن 61

همسات الماضي وأصداء المستقبل 63

أسرار الإدارة في اختبار الثقة 75

نحو إستراتيجية مُتكاملة 81

رحلة بين الذكريات 85
ميزان العدالة المهتز 89
بناء الثقة وكسب الولاء..... 95
هدوء الليل والذكريات المؤلمة 99
بين العمل والمفاجآت السارة..... 103
دروس في الإنسانية..... 107
إعادة الثقة إلى الموظفين القدامى..... 113
لحظة النتصار الأولى..... 117
الجرح الذي لا يندمل 123
التغيير المؤلم من أجل الأفضل..... 133
رفيق الظل 137
بناء ثقافة النجاح المستدام 141
سر النجاح من طاولة الغداء 145
مفاتيح الماضي..... 151
ذكريات حزينة على ورقة..... 165
نافذة على الرحلة 171